إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت ٨

أضواء على الموقف الشيعي من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم

المفكر الإسلامي
الدكتور محمد عمارة

مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع

أضواء على

الموقف الشيعي من أصحاب رسول الله ﷺ

إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت (٨)

أضواءٌ على
الموقف الشيعي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

المفكر الإسلامي
الدكتور محمد عمارة





الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٥٦٧ - ١١ / ١ / ٢٠٠٩م

ISBN

977- 5291 - 92 - 5

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر - إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشئون الفنية

عمارة ، محمد

أضواء على الموقف الشيعي من أصحاب رسول الله ﷺ / محمد عمارة . .

القاهرة : مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٩ .

٨٠ ص ؛ ٢٠ سم (إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت ؛ ٨)

٥ ٩٢ ٥٢٩١ ٩٧٧

١- الشيعة آراء ومعتقدات

أ - العنوان ب - السلسلة ١ ، ٢٤٧

مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع

القاهرة : ٣ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر - ت ٢٥١٤٤٠٧٣

جوال ٠١٢/٣٦٧٦٧٩٧ - ٠١٠/٦١٨٦١١٤

غير واردٍ .. ولا مقبول .. ولا معقول أن يطلب صاحب « مذهب » إلغاء المذاهب الأخرى ، ولا أن يحلم مذهبٌ من المذاهب بالتفرُّد والحلول محلّ مذاهب الآخرين .

وإذا كان القرآن الكريم قد قال لأهل الشرك والوثنية – على لسان رسول الله ﷺ ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [الكافرون : ٦] .

وتَحدَّث – هذا القرآن الكريم – عن تعدُّد الشرائع في دين الله الواحد .. وعن اختلاف الإنسانية الواحدة إلى مناهج وثقافات وحضارات وألسنة ولغات وقوميات : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ [المائدة : من الآية ٤٨] . ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾ [الروم : ٢٢] فإن هذا القرآن الكريم – ومن ثَمَّ الإسلام – قد جعل الاختلاف الديني .. والثقافي .. والقوميّ .. والحضاري ، في إطار وحدة الإنسانية التي خلقها الله – سبحانه وتعالى – من نفس واحدة .. ثم جعلها شعوبًا وقبائل لتتعارف ، وتتعاون على البر والتقوى ، لا على الإثم والعدوان .. قد جعل هذا الاختلاف سُنَّة من سنن الله التي لا تبديل لها ولا تحويل .. وليس مجرد حق من حقوق الإنسان .

• وبالنسبة للإسلام – في كماله واكتماله – كما جاءنا به رسولنا محمد ﷺ فلقد جمع المسلمين على خمسة جوامع :

١ – وحدة العقيدة .

٢ – وحدة الشريعة .

٣ – وحدة الأمة .

٤ – وحدة الحضارة .

٥ - ووحدة دار الإسلام .

وفي إطار كل جامع من هذه الجوامع الخمسة - الثوابت .. المُمَثلة لهوية الأمة - أتاح الإسلام فرص التمايز والتعدُّد والاختلاف في الفروع والجزئيات والتفاصيل .

• **ففي إطار العقيدة الواحدة** : عرفت حضارتنا الإسلامية المذاهب الكلامية والتصوّرات الفلسفية التي تنوعت بتنوع عقول المخاطبين .. والتي فتحت آفاق الاجتهادات أمام العقل المسلم في سُبُلِ المعرفة لثوابت العقيدة الواحدة ، وفي تفاصيل علوم التوحيد وأصول الدين .. وذلك دونما تكفير أو نفي أو إقصاء .

• **وفي إطار الشريعة الواحدة** : عرفت حضارتنا الإسلامية المذاهب الفقهية التي تمايزت واختلفت في الفقه - علم الفروع - دونما خروج عن ثوابت الشريعة - التي هي وَضْعٌ إلهي ثابت - ودونما تكفير أو نفي أو إقصاء .. فشعار كل إمام من أئمة هذه المذاهب الفقهية : « رأيي صواب يحتمل الخطأ ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب » .. « وكل إنسان يؤخذ منه ويرد إلا المعصوم - عليه الصلاة والسلام - » حتى لقد رأينا أئمة بعض المذاهب يتتلمذون على أئمة المذاهب المخالفة .. وعرف تاريخنا الفقهي من الأئمة الكبار من كان يحتضن كل تراث الأمة الفقهي .. حتى كان بعضهم يُدَرِّس بمذهب .. ويَقْضِي بمذهب ثان .. ويُفْتِي بمذهب ثالث ! .. وذلك دونما حَرَج أو خروج عن المألوف ! .. فالفقه هو عِلْم الفروع ، تتعدد اجتهاداته في إطار وحدة شريعة الإسلام .

• **وفي إطار وحدة الأمة الإسلامية** - التي هي فريضة دينية .. وضرورة حياتية - والجامعة في رعيتها أهل الديانات المختلفة - عرفت أمتنا التنوّع المشروع والطبيعي في الشعوب والقبائل .. وفي الألسنة واللغات - ومن ثَمَّ القوميات - .. وفي الأجناس والألوان والأعراق ..

ولم يأنف شعب من شعوب هذه الأمة أن يحكمه - بالإسلام - حاكم

يختلف عنه في الجنس أو اللون أو الإقليم .. لأن وحدة الأمة مَثّلَتْ « جنسية الإسلام والمسلمين » .. فصلاح الدين الأيوبي [٥٣٢ - ٥٨٩ هـ/ ١١٣٧ - ١١٩٣ م] - الكردي - هو الذي وحّدَ العرب وحكمهم وقادهم في أمجد المعارك ضد الصليبيين .. وغدا مفخرة التاريخ العربي والإسلام ، على امتداد الأوطان والقوميات .. والقرون . ومحمد علي باشا الكبير [١١٨٤ - ١٢٦٥ هـ/ ١٧٧٠ - ١٨٤٩ م] الذي نشأ في « قولة » - باليونان - هو الذي بنى مصر الحديثة ، وعمل على تجديد شباب الدولة العثمانية .. وتبوّأ مكانته المرموقة في مصر والعالم العربي وفي إفريقيا ، دون أن يكون « فرعوني النسب » .. أو من سلالة عدنان أو قحطان ! .

• وفي إطار الحضارة الإسلامية الواحدة : تنوّعت وتمايزت العادات والتقاليد والأعراف وتعددت الثقافات الفرعية في إطار وحدة حضارة الإسلام ..

• وفي إطار وحدة دار الإسلام : تنوّعت وتعددت وتمايزت الأقطار والأقاليم والولايات والأوطان .. دونما اعتراف من الأمة « بالحدود والحواجز » التي تُمَزّقُ وحدة دار الإسلام . تلك « الحدود » التي فرضتها الهيمنة الاستعمارية الغربية ، وقبلت بها - وحافظت عليها - « الأطماع » ضيقة الأفق ، التي خَدَمَ أصحابها ويخدمون أعداء وحدة دار الإسلام ! ..

• هكذا كانت نعمة التعدُّد والتمايز والاختلاف في إطار الإسلام ،الذي جَمَعَ المسلمين على هذه الجوامع الخمسة ، عَبْرَ تاريخه الطويل والعريق ..

ولذلك ، كان التفكير .. والنفي .. والإقصاء هو العدوّ الأول لهذه النعمة العظمى التي أنعم الله بها على أمة الإسلام . فكل الأبواب مفتوحة .. وكلّ الآفاق ممتدة أمام العقل المسلم في الاجتهاد والتجديد والتنوّع والاختلاف .. شريطة أن يتمّ كلُّ ذلك على الأرض المشتركة لثوابت الإسلام ، وفي إطار الجوامع التي جَمَعَ عليها الإسلام كلَّ الذين شهدوا ويشهدون أن لا إله إلا الله

محمدا رسول الله .. دونما تكفير أو نفي أو إقصاء .

• ولقد أصاب شيخ الإسلام ابن تيمية [٦٦١ - ٧٢٨ هـ / ١٢٦٣ - ١٣٢٨ م] كبدَ الحقيقة عندما أعلن أن كلَّ القضايا - حتى الأصولية - التي اختلف فيها المسلمون ، ليس في أيٍ منها ما يؤدي إلى التكفير - والنفي والإقصاء من الملّة - .. لأن أيًا من هذه القضايا لا تتوقف على معرفتها صحة الاعتقاد والإيمان بأصول الإسلام . نعم .. أعلن شيخ الإسلام ابن تيمية - باسم أهل السنة والجماعة - الذين يُمثّلون اليوم ٩٠ % من أمة الإسلام - هذه الحقيقة الكبرى فقال : « .. وأهل السُّنّة لا يبتدعون قولاً ، ولا يُكفِّرُونَ من اجتهدَ فأخطأ ، وإن كان مخالفًا لهم ، مُكَفِّرًا لهم ، مُستحِلاًّ لدمائهم ، كما لم يُكفِّر الصحابة الخوارج ، مع تكفيرهم لعثمان وعليٍّ ومن والاهما ، واستحلالهم لدماء المسلمين المخالفين لهم » .

فالوقوع في مستنقع التكفير لا يبرر الوقوع في هذا المحظور .

ولقد استند شيخ الإسلام ابن تيمية ، في موقفه هذا - الحاسم والواضح - في رَفْضِ التكفير حتى لمن يُكَفِّرُونَ أهل السُّنّة والجماعة ويَسْتحِلُّون دماءهم وأموالهم .. استند إلى صحيح السُّنّة النبوية الشريفة .. فقال : « وأما تكفيرُ شخصٍ عُلِمَ إيمانُه بمجردِ الغلطِ في ذلك فعظيمٌ ، فقد ثَبَتَ في الصحيح عن ثابت بن الضحاك عن النبي ﷺ قال : « .. ولَعْنُ المؤمنِ كَقَتْلِهِ ، ومَن رَمَى مُؤمنًا بكُفرٍ فهو كَقَتْلِهِ » ، وثَبَتَ في الصحيح أن « مَنْ قال لأخيه : يا كافر ، فقدْ بَاءَ به أحَدُهما » وإذا كان تكفير المعيّن على سبيل الشتم كَقَتْلِه ، فكيف يكون تكفيره على سبيل الاعتقاد ؟! » .

ثم يَصْعَدُ شيخ الإسلام ابن تيمية - في رَفْضِ التكفير - إلى القمة عندما يقطع بأن جميع القضايا التي اختلف فيها المسلمون لا يوجب - ولا يجيز - الاختلاف في أيٍّ منها أي لون من ألوان التكفير والإخراج من الملّة .. فيقول :

« والذي نختاره ألا نكفّر أحدًا من أهل القبلة ، والدليل عليه أن نقول :

المسائل التي اختلفت أهل القبلة فيها ، مثل : أن الله تعالى هل هو عالم بالعلم أو بالذات ؟ . وأنه تعالى هل موجد لأفعال العباد أم لا ؟ . وأنّه هو متحيز ؟ وهل هو في مكان وجهة ؟ . وهل هو مرئي أم لا ؟ . لا تخلو إما أن تتوقف صحة الدين على معرفة الحق فيها أو لا تتوقف . والأول باطل ؛ إذ لو كانت معرفةُ هذه الأصول من الدين لكان الواجب على النبي ﷺ أن يطالبهم بهذه المسائل ، ويبحث عن كيفية اعتقادهم فيها ، فلما لم يطالبهم بهذه المسائل ، بل ما جرى حديث من هذه المسائل في زمانه ، عليه السلام ، ولا في زمان الصحابة والتابعين ، رضي الله عنهم ، علمنا أنه لا تتوقف صحة الإسلام على معرفة هذه الأصول ، وإذا كان كذلك ، لم يكن الخطأ في هذه المسائل قادحًا في حقيقة الإسلام ، وذلك يقتضي الامتناع عن تكفير أهل القبلة .

إن الكفر حكم شرعيّ مُتلقّى عن صاحب الشريعة ، والعقل قد يُعلَم به صوابُ القول وخطؤه ، وليس كلّ ما كان خطأ في العقل يكون كفرًا في الشرع ، كما أنه ليس كلّ ما كان صوابًا في العقل تجب في الشرع معرفته .

وقد نُقل عن الشافعي ، رضي الله تعالى عنه ، أنه قال : لا أرد شهادة أهل الأهواء ، إلا الخطَّابية ، فإنهم يعتقدون حِلَّ الكذب . أما أبو حنيفة ، رضي الله تعالى عنه ، فقد حكى الحاكم [٣٣٤ هـ ٩٤٥ م] صاحب (المختصر) في كتاب (المنتقى) عن أبي حنيفة ، رضي الله عنه ، أنه لم يكفر أحدًا من أهل القبلة . وحكي أبو بكر الرازي عن الكرخي [٢٦٠ - ٣٤٠ هـ/ ٨٧٤ - ٩٥٢م] وغيره مثل ذلك » .

هكذا بلغ شيخ الإسلام ابن تيمية القمة ، عندما قَطَع بأن مسائل الأصول ، التي اختلف فيها المسلمون ، لا تتوقف على معرفتها صحة الدين ، ومن ثَمّ فليس في الخلاف حولها شيء من التكفير .

• وقبْل ابن تيمية، عبّر حُجّة الإسلام، ومجدّد الأشعرية، أبو حامد الغزالي [٤٥٠ - ٥٠٥ هـ/ ١٠٥٨ - ١١١١ م] عن هذا الموقف الثابت لأهل السُّنّة في رَفْضِ التكفير لأحد من أهل القبلة، فقال: «.. وعليك أن ترعوي وتكفَّ لسانك عن تكفير أهل القبلة، وإن اختلفت طرقهم، ماداموا متمسكين بقول: «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، صادقين بها، غير مناقضين لها.. فإن التكفير فيه خطر، والسكوت لا خطر فيه.. والمبادرة إلى التكفير إنما تغلب على طباع من يغلب عليهم الجهل.. والخطأ في تَرْكِ ألف كافر أهون من الخطأ في سَفْكِ محجمة من دم مسلم». هكذا ازدان تراث الإسلام بإجماع أئمة أهل السُّنّة والجماعة على رَفْضِ التكفير، والتحذير من الانزلاق إلى مستنقعه الوخيم.

• وفي عصرنا الحديث - وبعد تجاوز الأمة لمرحلة الجمود والتقليد، وعصر التراجع الحضاري - وجدنا الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده [١٢٦٦ - ١٣٢٣ هـ/ ١٨٤٩ - ١٩٠٥ م] - وهو إمام المجددين في مدرسة الإحياء والتجديد الحديث - يسير على هذا النهج الإسلامي الثابت في رَفْضِ التكفير.. والتحذير منه.. فيقول: «إن الله - سبحانه وتعالى - لم يجعل للخليفة.. ولا للقاضي.. ولا للمفتي.. ولا لشيخ الإسلام أدنى سلطة على العقائد وتحرير الأحكام.. ولا يسوغ لواحد منهم أن يدَّعي حقَّ السيطرة على إيمان أحد أو عبادته لربّه، أو ينازعه طريق نَظَرِه.. فليس في الإسلام سلطة دينية سوى سلطة الموعظة الحسنة والدعوة إلى الخير والتنفير عن الشر، وهي سلطة خوّلها الله لأدنى المسلمين يقرع بها أنفَ أعلاهم، كما خوّلها لأعلاهم يتناول بها من أدناهم.. وليس لمسلم، مهما علا كعبه في الإسلام، على آخر، مهما انحطت منزلته فيه، إلا حق النصيحة والإرشاد.. ولقد اشتهر بين المسلمين وعُرِفَ من قواعد أحكام دينهم أنه إذا صَدَرَ قول من قائل يحتمل الكفر من مائة وجه، ويحتمل الإيمان من وجه واحد، حُمِلَ على الإيمان، ولا يجوز حَمْلُه على الكفر».

هكذا تأسَّس الموقف الثابت لأهل السُّنَّة والجماعة على رَفْض التكفير لأحد من أهل القبلة، الذين يشهدون إن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله .. ولقد تأسَّس هذا الموقف الثابت على محكم القرآن الكريم: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء: ٩٤]. وفي تفسير هذه الآية الكريمة يقول الإمام القرطبي [٦٧١ هـ ١٢٧٣م]: «إن في هذا التوجيه الإلهي من الفقه باب عظيم وهو أن الأحكام تُناط بالمظان والظاهر، لا على القطع واطلاع السرائر، فالله لم يجعل لعباده غير الحكم بالظاهر».

كما تأسَّس هذا الموقف الرافض للتكفير على البيان النبويّ للبلاغ القرآني - السُّنَّة النبويّة الشريفة - فلقد روى أسامة بن زيد - رضي الله عنهما - فقال: «بَعَثَنا رسولُ الله ﷺ في سرية، فصبحنا الحُرُقات - [مكان] - من جهينة، فأدركتُ رجلاً، فقال: «لا إله إلا الله»، فَطَعَنْتُهُ، فوقع في نفسي من ذلك، فذكرته للنبي ﷺ فقال: «أقال: لا إله إلا الله، وقتلته»؟!.

- قال، قلت: يارسول الله، إنما قالها خوفًا من السلاح.

- قال ﷺ: «أفلا شققْتَ عن قلبه لتعلَم أقالها أم لا»؟!

- فمازال يكررها حتى تمنيتُ أني أسلمتُ يومئذ» .. رواه مسلم، وأبو داود، وابن ماجة، والإمام أحمد -.

وفي شَرْحِ هذا الحديث، يقول الإمام النووي [٦٣١ - ٦٧٦ هـ / ١٢٣٣ - ١٢٧٧ م]: «إنما كُلِّفْتَ بالعمل الظاهر وما ينطق به اللسان، وأما القلب فليس لك طريق إلى معرفة ما فيه».

هكذا تأسَّس «فِكْرُ» أهل السُّنة والجماعة في «رَفْض التفكير» على البلاغ

القرآني ، وعلى البيان النبوي لهذا البلاغ .

بهذا الموقف الواضح والحاسم لأهل السُّنَّة والجماعة - من قضية التكفير - نقدم لهذه الدراسة التي تتناول موقف الشيعة من صحابة رسول الله ﷺ ورضي عنهم - .. ذلك الموقف الذي يحكم على جمهور الصحابة بالكفر والردة والنفاق والضلال .. والذي يعمم هذا الحكم على كل من يوالي أحدًا من هؤلاء الصحابة .. أي يعمم هذا التكفير ليشمل ٩٠ % من أمة الإسلام ، عَبْرَ الأجيال المختلفة والمتتالية للمسلمين منذ عصر الصحابة وحتى هذه اللحظات !! ..

أما الهدف من هذه الدراسة فهو : دعوة عقلاء الشيعة وحكمائها - وهم كثيرون - إلى مراجعة هذا « التراث التكفيريّ » حفاظًا على وحدة الأمة - التي هي فريضة دينية وضرورة حياتية - .. ومنعًا للنفي والإقصاء .. وحذرًا من أن يبوءوا بهذا الذي يفترونه على صحابة رسول الله ﷺ ، الذين صَنَعَهُم الرسولُ على عينه .. والذين رضي الله عنهم ورضوا عنه - في محكم القرآن الكريم - .. والذين أقاموا الدين .. وأسسوا الدولة .. ووضعوا قواعد الحضارة .. وأزالوا قوى الطغيان العظم - الفرس والروم - فحرروا الأوطان والضمائر ، يوم فتحوا في ثمانين عامًا أوسع مما فَتَحَ الرومان في ثمانية قرون ! .. وبذلك أورثونا أعظم نعم الله علينا : نعمة الإسلام .. ودار الإسلام .. وحضارة الإسلام ..

والله نسأل أن يُوَفِّقَنا جميعًا - سُنَّة وشيعة - إلى : إعلان التحريم والتجريم لتكفير كلِّ مَنْ يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، وتنقية تراث المذاهب الإسلامية - السُّنِّيَّة والشيعية - من هذا « الفحش الفكريّ » ، المتمثل في جريمة التكفير .. إنه - سبحانه وتعالى - خير مسئول ، وأكرم مجيب .

د . محمد عمارة

القاهرة في رمضان ١٤٢٩هـ
سبتمبر ٢٠٠٨م

تمهيد

في القضايا الخلافية الست التي باعدت بين السنة والشيعة



مدخل :

في الحديث عن العلاقة بين الشيعة والسُّنَّة .. علينا أن نتحلَّى بالموضوعية والشجاعة والصراحة التي تجعلنا نُعلِنُ :

أن الخلاف بينهما قد مَثَّلَ - ولا يزال يُمَثِّلُ « أعمق وأعقد وأخطر الخلافات التي حدثت بين المسلمين على امتداد تاريخ الإسلام » .

وإذا كان التاريخ الإسلاميّ قد شهِدَ خلافاتٍ فكرية وسياسية عميقة ومعقَّدة بين عدد من الفِرَق الإسلامية - كالخلاف بين الخوارج وبين أهل السُّنَّة ، والاختلاف بين المعتزلة وبين الأشعرية والماتريدية - ثم تجاوز التطور هذه الاختلافات .. فإن الخلاف بين الشيعة و السُّنَّة قد تَمَيَّزَ بأمرين جعلاه أعقد وأعمق من سائر تلك الاختلافات التي مَايَزَتْ بين سائر فِرَقِ المسلمين .

الأمر الأول : هو ذهاب الشيعة إلى وَضْعِ أساس الخلاف - نظرية الإمامة - بين العقائد الدينية ومبادئ الاعتقاد وأصوله وثوابته .. أي جعلها ثابتًا من ثوابت الاعتقاد الدينيّ وليست مجرد « فِكْر » و « اجتهاد » إنسانيّ تجري عليه سُنَن التجديد والتطوير والتغيير .

والأمر الثاني : هو تَمَيُّزُ الحياة الدينية والاجتماعية الشيعية بتحويل مفردات هذا الخلاف ومروياته وتراثه وتاريخه وأدبياته إلى « منهاج تربويّ » تُصَاغُ به العقول والوجدانات وتشحن به الذكريات منذ الولادة وحتى مراسم الدفن والعزاء على النحو الذي يجعل الإنسان الشيعيّ مشحونًا بِكَمٍّ من نقاط الافتراق وأسباب العداء لمن تصوُّرهم أعداءً

آل البيت « النواصب » المغتصبين لحقِّهم الإلهيّ في الإمامة .. تجددها الذكريات والمناسبات والزيارات التي لا يخلو منها وقت من الأوقات .. هذه الشحنات الدينية والنفسية والعاطفية ضد أهل السُّنَّة ، الذين يضعهم هذا المنهاج التربويّ في سَلَّة واحدة ، منذ أبي بكر الصديق [٥١ ق هـ - ١٣ هـ / ٥٧٣ - ٦٣٤ م] وجمهور الصحابة وحتى كَاتِب هذه الصفحات ! .

نعم « إننا أمام أعقد وأعمق خلاف حَدَثَ في تاريخ الأمة الإسلامية » .

وفي التقريب الحقيقيّ بين الشيعة و السُّنَّة . نجد أنفسنا أمام مهمّة كبرى ، إن لم تكن مستحيلة فإنها من أصعب المهام التي تواجه العقل المسلم - الشيعيّ والسُّنّيّ - وذلك إذا التزمنا أمانة العلم والعلماء ولم تجرفنا أساليب الساسة والإعلاميين ! .

* * * *

لقد رَصَدَ الدكتور أحمد الكاتب - في كتابه [السُّنَّة والشيعة : وحدة الدين - خلاف السياسة والتاريخ] ست قضايا خلافية ، هي التي باعدت بين الشيعة و السُّنَّة منذ تبلور الشيعة كفرقة - أو كفرق - وحتى الآن ..

وبشيء من الاختصار سنتناول هذه القضايا :

١ - الخلاف في الإمامة

عندما جعلها أهل السُّنَّة من السياسات والفقهيات والفروع تختارها الأمة التي هي مصدر السلطات السياسية - بالشورى والاختيار والبيعة .. ثم تراقب الأمة الإمام .. وتحاسبه .. وتعزله عند الاقتضاء .. بينما رأتها الشيعة « إمامة إلهية » وشأنًا سماويًا يُعيِّنُ الله - سبحانه وتعالى - فيها الأئمة بالنصِّ والوصيَّة ..

فهو الذي اصطفاهم كما اصطفى الأنبياء والمرسلين ، وجعل لهم من « العصمة » والمكانة والسلطان ما يعلو على مكانة الملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين .. ومن ثَمَّ فإن الإيمان بهذه « الإمامة الإلهية » هو عقيدة دينية ، ودعامة من الدعائم الثوابت للدين .. وليست اجتهادًا بشريًا يتطرق إليه التجديد والاجتهاد والتغيير .

٢ - الخلاف حول القرآن الكريم

وهو خلاف ابتدعه علماء الشيعة الإخباريون .. عندما لم يجدوا في المصحف المعتمد لدى الأمة الإسلامية - منذ عَصْر النبوّة - ما يشهد لنظريتهم في « الإمامة الإلهية » المنحصرة في أئمتهم من آل البيت .. فلم يكتفوا « بالتأويل » لبعض الآيات وإنما قالوا بتحريف « التنزيل » القرآني تحريفًا أسقط - في رأي بعضهم - ثلثي القرآن الكريم ! .

لكن المدرسة الأصولية الشيعية - عند الإثني عشرية - قد جاءت -

في القرن التاسع عشر الميلاديّ - فنفت حدوث تحريف في « التنزيل » ووقفت في تأييد نظرية الإمامة الإلهية عند « التأويل » .

ولقد نشر . بطهران كتاب [أكذوبة تحريف القرآن بين الشيعة والسُّنَّة] سنة ١٩٨٥ م .. للشيخ رسول جعفر بان - يحمل هذه المراجعة لدعاوى تحريف القرآن الكريم ولقد رَحّبنا بهذه المراجعة ، وقمنا بإعادة طَبْع الكتاب مع التقديم له - بالقاهرة سنة ٢٠٠٦ م .

٣- الخلاف حول الحديث النبويّ الشريف

الذي أخذه أهل السُّنَّة والجماعة عن رسول الله ﷺ عَبْرَ الرواة بينما أخذه الشيعة عن الأئمة لأنهم - في رأيهم - هم وحدهم المعصومون ، المؤتمنون على الشريعة ، والقيّمون حتى على القرآن .. أما الأمة - بمن في ذلك الرواة فيجوز عليهم الضلال والكفر والردة والفسوق .

٤ - الخلاف حول التَّقيَّة

أي إظهار الإنسان غيرَ ما يبطن - ولقد جعلها الشيعة دِينًا يتدينون به ورووا عن أحد أئمتهم : « أن التقيةَ ديني ودينُ آبائي .. ولا دينَ لمن لا تقيةَ له » [(١)] .

ولقد استشهدوا على جواز التَّقيَّة بالآية القرآنية : ﴿ لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ

---

(١) الكافي ج ١ ص ٤٢٠ .

إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ۝ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران : ٢٨ - ٢٩] .

بينما قال أهل السُّنَّة والجماعة - انطلاقًا من منطوق الآية القرآنية - : إنها لا تجوز إلا عند ضرورة حِفْظ النفس في الصراع مع الكافرين - وليس في العلاقات بين المؤمنين - ويشهد لذلك - أيضًا تطبيقاتها في حال عمار بن ياسر [٥٧ ق هـ - ٣٧ هـ / ٥٦٧ - ٦٥٧ م] عندما نَطَق بكلمة الكفر إنقاذًا لنفسه من الهلاك أثناء تعذيبهم له :﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ۝ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [النحل : ١٠٥ - ١٠٧] .

أما التَّقِيَّة خارج هذا الإطار ، فإنها - بنظر أهل السُّنَّة والجماعة - استحلال للكذب ، تزداد بشاعته عندما يعدها أهلها دِينًا يتدينون به . وعندما تمارس في التعامل بين المؤمنين بدين واحد .

٥ - الخلاف في الفقه

ولأن الفقه - عند الشيعة و السُّنَّة - هو علم الفروع ، كان هذا الميدان من ميادين الخلاف هيِّنًا ؛ لأن باب الاجتهاد فيه مفتوح لمناقشة القضايا

الخلافية - من مثل نكاح المتعة وزيادة الشيعة في الأذان « **حيّ على خير العمل** » و « **أشهد أنّ عليًا وليّ الله** » والجمع الدائم لصلاة العصر مع الظهر ولصلاة العشاء مع المغرب .

والحديث عن أن « **العتبات المقدسة** » الشيعية هي « الأشرف » بأفعل التفضيل - على حين أن الحرمين - المكيّ والمدنيّ - كل منهما « شريف » فقط لا غير .

وتسمية المساجد « **حسينيات** » بدلاً من اسمها القرآني - المساجد - ووضع أعداد من الأدعية والقنوت في الصلوات لتغاير صلوات أهل السُّنَّة والجماعة .

واستخدام عبارة مثل « **باسمه تعالى** » بدلاً من « بسم الله الرحمن الرحيم » و « **صدق الله العليّ العظيم** » بدلاً من « صدق الله العظيم » إلى آخر هذه الاختلافات الفقهية ، التي هي في معظمها ثانوية وهَيِّنَةٌ وإن لعبت دورًا سلبيًا في تصوير الإسلام الشيعيّ - لدى العامة - وكأنه « إسلام موازي » لإسلام أهل السُّنَّة والجماعة .

الأمر الذي جعل فقهاء الشيعة لا يأخذون شيئًا عن فِقْه المذاهب السُّنِّيَّة بينما فَتَح فقهاء السُّنَّة الأبواب لاحتضان كلّ تراث المذاهب الفقهية الإسلامية ، وأجاز عدد من كبار علمائهم التعبُّدَ على أي من المذاهب الفقهية المعتبرة والمدونة أصولها ضمن تراث الفقه الإسلاميّ العام .

لقد أصدرت مصر موسوعتها الفقهية على المذاهب الثمانية : المالكيّ .. والحنفيّ .. والشافعيّ .. والحنبليّ .. والجعفريّ .. والزيديّ ..

والإباضيّ .. والظاهريّ .. بينما نصّ دستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية على أن المذهب الجعفريّ وحده هو مذهب إيران كلها - بمن فيها من السُّنَّة ! .. بل ونصّ هذا الدستور على أن جميع مواده قابلة للتعديل باستثناء هذه المادة التي تحدد مذهب الدولة ! .

٦- الخلاف الذي دار حول صحابة رسول الله ﷺ

فلقد انتقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى وعدد الذين دخلوا في دين الإسلام ١٢٤,٠٠٠ (مائة وأربعة وعشرين ألفا) - في جزيرة العرب التي كان عدد سكانها يومئذ مليون نسمة .

وعندما رَصَدَ علماء أهل السُّنَّة والجماعة أسماء « أعلام الصحابة » الذين تربوا في مدرسة النبوة ، والذين أقاموا الدين ، وأسسوا الدولة ، ووضعوا أسس الحضارة . والذين فتحوا في ثمانين عامًا أوسع مما فتح الرومان في ثمانية قرون . فأزالوا بهذه الفتوحات التحريرية قوى الهيمنة والقهر الحضاريّ - الروم - والفرس - ثم حرّروا ضمائر شعوب الشرق - فتركوهم وما يدينون - بعد أن حرّروا بلادهم من القهر الاستعماريّ والدينيّ والحضاريّ ومن النهب الاقتصاديّ الذي دام عشرة قرون من « الإسكندر الأكبر » [٣٥٦ - ٣٢٣ ق . م] في القرن الرابع قبل الميلاد - وحتى « هرقل » [٦١٠ - ٦٤١ م] في القرن السابع للميلاد .

عندما رَصَدَ علماء أهل السُّنَّة والجماعة أسماء أعلام الصحابة - الذين أقاموا الدين وحملوا الشريعة ورووا السُّنَّة - وغيّروا وجه الدنيا

واتجاه التاريخ .. رصدوا أسماء نحو ثمانية آلاف صحابيّ - منهم أكثر من ألف امرأة ! .

لكن الشيعة ذَهبوا فحكموا على جمهور هؤلاء بالكفر .. والردة .. والنفاق .. والمروق من دين الإسلام .. ولم يستثنوا من هذه الأحكام الجائرة والغريبة والعجيبة سوى أربعة أو خمسة أو أكثر قليلا ! ثم ذهبوا فعَمَّمُوا هذه الأحكام على كلّ مَن وَالَى أو أحبّ أحدًا من هؤلاء الصحابة .. أي أنهم قد سحبوا هذه الأحكام على سائر أهل السُّنَّة والجماعة الذين يمثلون ٩٠ % من تعداد أمة الإسلام .

* * * *

تلك هي القضايا الخلافية السّتُّ التي باعدت بين الشيعة والسُّنَّة .. والتي جعلت الخلاف بينهما أخطر وأعقد وأعمق خلاف ظَهرَ في تاريخ الإسلام والمسلمين .

لقد عَرَضَ الدكتور أحمد الكاتب - بأمانة العالم الناقد للغلوّ الشيعيّ في الإمامة والأئمة - معالم هذا الغلو السائد الآن في الفضاء الشيعيّ الإثني عشريّ ، على النحو الذي سقناه من خلال النصوص التي نقلها ووثقها فوضعنا جميعًا - سُنَّة وشيعة أمام « المهمَّة الصعبة » وإن لم تكن مستحيلة مهمَّة التقريب الحقيقيّ بين الفئتين اللتين مَثَّلَ الخلاف بينهما أعمق وأعقد الخلافات ظهرت واستمرت في تاريخ الإسلام .

بل إن الدكتور أحمد الكاتب هو القائل : « **إن موضوع الإمامة الإلهية لأهل البيت ، والعصمة ، والنصّ ، وموضوع الإمام الثاني عشر**

المهدي المنتظر الغائب .. والتي تشكّل أساس المذهب الإمامي الإثني عشريّ هي مادة الخلاف الرئيسية مع بقية المسلمين » .

فالأمر ليس إذن « مجرد خلاف سياسيّ تجاوزه الزمن ، ولم يبقَ منه سوى بعض الرواسب والمخالفات البسيطة التي تُشكّلُ مادة جدّية للخلاف » .

• • • •

والسؤال هو : هل هناك في مراجع الشيعة الإثني عشرية – غير الدكتور أحمد الكاتب – من لديه شجاعة المراجعة لهذا الاعتقاد في ألوهية الإمامة وتأليه الأئمة ؟ !

أم أن هؤلاء المراجع قد أصبحوا سجناء هذا الموروث القديم الذي بعثه « الغلاة الجدد » في واقعنا الحديث والمعاصر ؟ ! .

إننا في واقع الأمر ، أمام نظرية شيعية ، جعلت من ألوهية الإمامة وتأليه الأئمة « كهنوتًا » غريبًا عن حقيقة الإسلام ، كما يعتقده أهل السُّنَّة والجماعة وتلك هي « القضية المعضلة » التي يجب أن توضع على مائدة الحوار بين العلماء العقلاء – من الشيعة و السُّنَّة – إذا كنا نريد حقًّا التقريب الحقيقيّ بين هاتين الفرقتين من فرق المسلمين .

الموقف الشيعي
من أصحاب رسول الله ﷺ

نظرية الإمامة الإلهية وأثرها السلبي

• لقد أصاب الدكتور أحمد الكاتب كَبِدَ الحقيقة عندما قال :

« إن نشوء نظرية الإمامة الإلهية لأهل البيت ، وتحوّلها إلى عقيدة دينية ، أو أصل من أصول الدين ، لدى الشيعة الإمامية ، أوقعهم في أزمة تاريخية وعداء نظري مع الشيخين [أبي بكر وعمر] وانفصال واقعيّ عن ثقافة أهل البيت وتاريخ الشيعة الأوائل الذين كانوا يُكنُّون حبًا واحترامًا كبيرين لأبي بكر وعمر .. فنشأة نظرية الإمامة الإلهية ، التي تحصر الحق في الحكم والخلافة في أهل البيت .. والتي قالت بالنصّ والتعيين والحصر في عليّ وذريته إلى يوم القيامة .. قد انعكس سلبًا على مبدأ الشورى الذين اعتبرتهم هذه النظرية غاصبين للخلافة من الإمام عليّ .. ولقد ظهرت هذه النظرية أول ما ظهرت في الكوفة أثناء ثورة الإمام زيد بن عليّ [٧٩ - ١٢٢ هـ / ٦٩٨ - ٧٤٠] على هشام بن عبد الملك [١٠٥ - ١٢٥ هـ/ ٧٢٤ - ٧٤٣ م] في كل سنة ١٢٢ هـ » .

• وكذلك أحسن الدكتور أحمد الكاتب عندما قطع بزيف كلّ الروايات الشيعية التي تحدثت عن إكراه عليّ بن أبي طالب على مبايعة أبي بكر ، وعن تهديد عمر بن الخطاب [٤٠ ق هـ/ ٥٨٤ - ٦٤٤ م] له ولفاطمة إن لم تتم المبايعة .. وعزا اختلاق هذه الروايات إلى حاجة الشيعة لها كي تؤسس لنظريتهم في الإمامة الإلهية .. وفي ذلك قال :

« لقد كان الإماميون بحاجة ماسّة إلى رواية من ذلك القبيل ، حتى يَبْنُوا نظريتهم السياسية حول الإمامة الإلهية لأهل البيت » فبالإضافة إلى النصوص التي جاءوا بها من أجل إثبات النصّ على الإمام عليّ ، والتأويلات التي قاموا بها لبعض الآيات القرآنية ، كانوا بحاجة إلى أدلة تاريخية تؤكد نظريتهم » .

« وبأمانة الناقد للتاريخ والواعي بحقائق هذا التاريخ ، رفض الدكتور أحمد الكاتب هذه الروايات المصنوعة ، واللاعقلانية .. وعلل أسباب اختلاقها .. فقال :

« ولكن التاريخ الإسلاميّ ، وتاريخ الإمام عليّ بالخصوص كان يُكَذِّبُ نظريتهم ويهدمها من الأساس ، فكيف يصحّ النصُّ على الإمام بالخلافة ويقوم هو بالتنازل عن « حقّه الشرعيّ » طواعية ويبايع أبا بكر ؟ ! .

إذن لابد أن يكون هناك عُنْفٌ وإرهاب وقَمْعٌ واستضعاف له - [للإمام عليّ] « يثبت » أنه بايع تحت الضغط - والإكراه وأن بيعة أبي بكر كانت باطلة ، وكذلك مبدأ الشورى والاختيار .

ولعلّ المثير للسخرية أن تتم هذه العملية في القرن الثالث ، والقرن الرابع ، بعد غياب أو فقدان أئمة أهل البيت ، ووصول النظرية السياسية الإمامية إلى طريق مسدود ... » .

* * * *

إذن : فالعداء ، للصحابة وفي المقدمة منهم الخلفاء الراشدون - وما

طفحت به مصادر الشيعة من أحكام غريبة على الصحابة بالكفر والردة والنفاق ، إنما كان انعكاسًا لنشوء نظرية الإمامة الإلهية ، لتبرير رَفْض الشورى والاختيار ، وتثبيت القول بالنصّ والوصية والتعيين والخروج من مأزق بيعة عليّ لأبي بكر وعمر وعثمان ، وموالاته لهم ، ونصرته للخلافة في عهدهم . فنظرية الإمامة الإلهية - التي طرأت بعد قرنين من تاريخ الإسلام - هي التي استدعت هذا الموقف الغريب والشاذ من الصحابة والخلافة الراشدة « **في القرن الثالث أو الرابع ، بعد غياب أو فقدان أئمة أهل البيت ، ووصول النظرية السياسية الإمامية إلى طريق مسدود** » .

لذلك كان طبيعيًا أن يقود هذا التحليل العلميّ ، الذي قدّمه الدكتور أحمد الكاتب ، لموقف الشيعة من الصحابة .. أن يقوده إلى الحلّ الذي يخرج الشيعة من هذا النفق المظلم الذي حشروا أنفسهم فيه .

لقد كانت نظرية الإمامية الإلهية هي السبب الذي أفرز الموقف الشنيع من الصحابة .. ولذلك ، فإن الخروج من هذا الموقف الشنيع إنما يبدأ بإعادة النظر في هذه النظرية .. التي هي محور الخلاف وأساس الشقاق والانشقاق .

وفي الإشارة إلى طريق الخروج من هذا النفق المظلم .. يقول الدكتور أحمد الكاتب :

« **إن الفهم الصحيح لنظرية الإمامة ، وكونها نظرية « سياسية قديمة » ، وبائدة ، بدل أن تكون « عقيدة دينية » يُشكّل المقدّمة الضرورية أمام التخلّي النهائي والحاسم عن تلك الاتهامات الباطلة [للصحابة]**

وضعها على رفوف التاريخ » .

هكذا وَضَعَ الدكتور أحمد الكاتب علماء الشيعة وحكماءها أمام الحقيقة ، التي يجب أن توضع على مائدة الحوار .. حوار العلماء الحكماء ..

• • • •

لقد زوّج الإمام عليّ بن أبي طالب ابنته أم كلثوم لعمر بن الخطاب .. وسمّى ثلاثة من أبنائه بأسماء أبي بكر وعمر وعثمان .. وكان ركنًا ركينًا في الخلافة هؤلاء الراشدين الثلاثة .

ولذلك ، فإن الانقلاب الشيعيّ على هؤلاء الخلفاء الثلاثة ، وعلى جمهور الصحابة ، والحكم عليهم بالكفر والردة والنفاق .. ولعنهم والدعاء عليهم في الأعياد والمناسبات الشيعية ، وعقب الصلوات إنما هو انقلاب على الإمام عليّ وعلى الأئمة من آل بيته .

هذا الانقلاب الذي طفحت مصادر الفكر الشيعيّ بشناعاته والذي نسبوا فيه إلى جعفر الصادق - كما جاء في [الأصول من الكافي] للكليني [٣٢٩ هـ ٩٤١ م] - قوله :

« أن الآية ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾ [آل عمران : ٩٠] **قد نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان .. وكذلك آية :** ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴾ [محمد : ٢٥] **وأنهم « آمنوا بالنبي في أول الأمر ، وكفروا حين عرضت عليهم ولاية عليّ بن أبي طالب . وأنهم ارتدوا على الإيمان**

في تَرْكِ ولاية عليّ ..» .

كما ينسب الكلينيّ – في [الروضة من الكافي] – إلى جعفر الصادق – في تفسير الآية ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴾ [فصلت : ٢٩] أنهما أبو بكر وعمر .. »(١) .

• أما المجلسي - محمد باقر [١٠٣٧ - ١١١٠ هـ/ ١٦٢٨ - ١٦٩٨ م] - صاحب [مرآة العقول] - فإنه يقول في شرحه للكافي :

« إن الجن المذكور في الآية هو عمر بن الخطاب ، سُمّي بذلك لأنه كان شيطانًا إمّا لأنه كان شرك شيطان ؛ لأنه ولد زنى ، أو لأنه في المكر والخديعة كالشيطان » (٢) .

• وينسب الكليني إلى جعفر الصادق : **أن هؤلاء الخلفاء الثلاثة – أبو بكر وعمر وعثمان – [لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب عظيم]** (٣) .

• ويقول المجلسيّ – في [العقائد] :

« إنَّ مما عُدّ من ضروريات دين الشيعة الإمامية : البراءة من أبي بكر

---

(١) الروضة من الكافي ج ٨ ص ٣٣٤ .

(٢) مرآة العقول ج ٢٦ ص ٤٨٨ .

(٣) الكافي ج ١ ص ٣٧٣ .

وعمر وعثمان ومعاوية » [١] **كما يصفهم – في كتابه [حق اليقين] – بأنهم الأصنام الأربعة وأنهم وأتباعهم وأشياعهم شرّ خلق الله على وجه الأرض واعلم أن إطلاق لفظ الشرك والكفر على مَن يعتقد إمامة أمير المؤمنين والأئمة من ولده يدُل على أنهم مُخَلَّدُونَ في النار »** [٢] .

• كما يروي – في كتابه [بحار الأنوار] – عن مولى لعليّ بن الحسين قوله في أبي بكر وعمر : **أنهما كافران ومن أحبهما** [٣] .

• كما ذَكَرَ المرعشيّ في كتابه [إحقاق الحق] – وَصْفَ أبي بكر وعمر « **بصنمي قريش** » وأثبت نصّ الدعاء عليهما [٤] .

• ويذكر الشيخ المفيد [٣٣٨ – ٤١٣ هـ/ ٩٥٠ – ١٠٢٢ م] **اتفاق الشيعة الإمامية على تكفير الذين قاتلوا عليًا .. ويصفهم « بالناكثين والقاسطين والكفار والضلال الملعونين المخلدين في النار »** [٥] .

أما شيخ الشيعة نعمة الله الجزائريّ [١٠٥٠ – ١١١٢ هـ/ ١٦٤٠ – ١٧٠١ م] فإنه يعلن المفارقة في الدين مع جمهور الصحابة وجميع أهل السُّنَّة والجماعة .. فيقول :

---

(١) العقائد ص ٥٨ .

(٢) حق اليقين ص ٥١٩

(٣) بحار الأنوار ج ٦٩ ص ١٣٧ ، ج ٢٣ ص ٢٩ .

(٤) إحقاق الحق ج ١ ص ٩٧ .

(٥) أوائل المقالات ص ٤٥ .

« إننا لم نجتمع معهم على إله ، ولا نبي ، ولا على إمام ، وذلك أنهم يقولون : إن ربهم هو الذي كان محمدٌ نبيه ، وخليفته أبو بكر ، ونحن لا نقول بهذا الربّ ، ولا بذلك النبي ، بل نقول : إن الربّ الذي خليفته أبو بكر ليس ربنا ، ولا ذلك النبيّ نبينا » (١) .

* ويروي الكليني هذا الحكم القاطع بكفر كلّ من عدا الشيعة الإثني عشرية ، عن الإمام الرضا ، الذي يقول ، كما زعم الكليني :

« إن شيعتنا لمكتوبون بأسمائهم ، وأسماء آبائهم ، أخذ الله علينا وعليهم الميثاق يردون موردنا ويدخلون مدخلنا ليس على ملّة الإسلام غيرنا وغيرهم إلى يوم القيامة » (٢) .

* وبعبارة شيخ الشيعة ومرجعهم الكبير السيد محمد الشيرازيّ [١٣٣٨ هـ ١٩٢٠ م] :

« فإنَّ مَن جَحَدَ إمامًا من الأئمة الاثني عشر – بمن في ذلك أقسام الشيعة غير الإثنيْ عشرية – هم كمن قال : إن الله ثالث ثلاثة » (٣) .

* وحتى الإمام أبو القاسم الخوئيّ [١٣١٧ – ١٤١٢ هـ/ ١٨٩٩ – ١٩٩٢ م] فإنه يقول :

« إنه ثبت بالروايات والأدعية والزيارات جواز لَعْن المخالفين ،

---

(١) الأنوار النعمانية ج ٢ ص ٢٧٩ .

(٢) الكافي ج ١ ص ٢٢٣ .

(٣) الفقه ج ٤ ص ٢٦٩ .

ووجوب البراءة منهم ، وإكثار السَّبِّ عليهم ، واتهامهم ، والوقيعة فيهم - أي غيبتهم - لأنهم من أهل البدع والريب ، بل لا شبهة في كُفرهم ؛ لأن إنكار الولاية والأئمة حتى الواحد منهم والاعتقاد بخلافة غيرهم ، يوجب الكفر والزندقة ، وتدلّ عليه الأخبار المتواترة الظاهرة في كُفْرِ منكر الولاية » (١) .

• • • •

إنّ هذه الشناعات - التي ملأت المجلدات - والتي غدت شعائر وأدعية وعبادات تَعَبَّدَ بها جمهور الشيعة - هي في حقيقتها - انقلاب على خُلُق الإمام عليٍّ بن أبي طَالب والأئمة من آل بيته .

ذلك أن الصحابة وإن اختلفوا في السياسة ، فإنهم لم يختلفوا في الدين .. وحتى عندما بلغ الخلاف السياسيّ بينهم حدّ الاقتتال فإن ذلك لم يُخرِجْ أيًّا منهم من إطار الإيمان بثوابت الإسلام - لقد اجتهدوا في السياسة - أي في الفروع والفقهيات - فأصاب قوم ، كُتِبَ لهم أجران وأخطأ آخرون . فكان لهم أجر واحد ، هو أجر الاجتهاد .

ولقد كان الإمام عليّ في مقدمة الذين أعلنوا هذا المنهاج الإسلاميّ في النظر إلى فرقاء هذا الاختلاف - الذي اشتهر بالفتنة الكبرى - ففي موقعة « صفين » [٣٧ هـ ٦٥٧ م] التي مَثَّلَتْ ذروة الصراع بينه وبين معاوية بين أبي سفيان [٢٠ ق هـ - ٦٠ هـ/ ٦٠٣ - ٦٨٠ م] أعلن الإمام عليّ

---

(١) مصباح الفقاهة ج ٢ ص ١١ .

عن الطبيعة السياسية - وليست الدينية - لهذا الصراع .. فقال - في مواجهة « الغلو الخوارجيّ » الذي حَكَمَ بالكفر على أطراف هذا الصراع :

« والله لقد التقينا ، وربنا واحد ، ونبينا واحد ، ودعوتنا في الإسلام واحدة ، ولا نستزيدهم في الإيمان بالله والتصديق برسوله ولا يستزيدوننا والأمر واحد ، إلا ما اختلفنا فيه من دم عثمان ، ونحن منه براء »[1] « إننا والله ، ما قاتلنا أهل الشام على ما توهم هؤلاء [الخوارج] - من التكفير والافتراق في الدين ، وما قاتلناهم إلا لنردهم إلى الجماعة ، وإنهم لإخواننا في الدين ، قتلتُنا واحدة ورأينا أننا على الحق دونهم »[2] « لقد أصبحنا نقاتل إخواننا في الإسلام على ما دَخَلَ فيه من الزيغ والاعوجاج والشبهة والتأويل ، فإذا طمعنا في خصلة يلمّ الله بها شعثنا ونتداني بها إلى البقية فيما بيننا رغبنا فيها ، وأمسكنا عما سواها »[3] .

وعندما سئل الإمام عليّ عن « آخرة » قتلى الفريقين - في صفين - قال : « **إني أرجو ألا يقتل أحد نقّي قلبه . منا ومنهم . إلا**

---

(١) ابن أبي الحديد [شرح نهج البلاغة] ج ١٧ ص ١٤١ . تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم . طبعة القاهرة سنة ١٩٥٩ .

(٢) الباقلاني [التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة] ص ٢٣٧ ، ٢٣٨ . تحقيق : محمد الخضيري . د. محمد عبد الهادي أبو ريدة . طبعة القاهرة سنة ١٩٤٧ .

(٣) الإمام علي [نهج البلاغة] ص ١٤٧ ، ١٤٨ . طبعة دار الشعب . القاهرة .

أدخله الله الجنة » (١) .

فالاختلاف كله - في الفتنة الكبرى كلها - اختلاف في السياسة - التي هي من الفروع والفقهيات - ولم يكن خلافًا في الدين .. أي أنه في مناطق الاجتهاد في الفروع .

وإذا كان معيار الخلاف في أمهات عقائد الدين وأركانه هو « الإيمان » و « الكفر » فإن معيار الاختلاف في السياسة والفروع هو « الصواب » و « الخطأ » وفرقاء هذا الاختلاف - حتى ولو بلغ حدّ الاقتتال - لا يخرجهم اختلافهم واقتتالهم من إطار الإيمان بدين الإسلام .

ويشهد على ذلك القرآن الكريم - الذي انطلق منه الإمام عليّ في تحديد طبيعة هذه الاختلافات - فقول الله - سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات : ٩ ، ١٠] .

هكذا قال الإمام عليّ منطلقًا من القرآن الكريم - في الذين بغوا عليه وقاتلوه .. بينما قالت الشيعة - بلسان الشيخ المفيد وغيره : « **باتفاق الإمامية على تكفير الذين قاتلوا عليًا .. ووصفهم بالناكثين والقاسطين**

---

(١) التمهيد للباقلاني - ص ٢٣٧ .

والكفار والضلال الملعونين المخلدين في النار » [١] .

بل لقد بلغ الغلو بهذا الانقلاب الشيعيّ على منهاج الإمام عليّ والأئمة من أهل بيته إلى حدّ قول المجلسيّ :

« إعلم أن إطلاق لَفْظِ الشرك والكفر على مَن يعتقد إمامة أمير المؤمنين والأئمة من ولده يدلّ على أنهم مخلدون في النار » [٢] .

لقد ألجأهم الخطأ إلى المزيد والعديد من الأخطاء .. ألجأهم الخطأ في تأليه الأئمة ، وفي جعل الإمامة عقيدة دينية وركنًا من أركان الاعتقاد الدينيّ ، إلى تكفير المخالفين وإخراجهم من الدين وإلى الحديث عن المذهب باعتباره دينًا مستقلاً وموازيًا – وهذا أمر بالغ الخطورة – حتى قال نعمة الله الجزائريّ [١١١٢ هـ/ ١٧٠١ م] عن أهل السُّنَّة والجماعة :

« إننا لم نجتمع معهم على إله ، ولا نبيّ ولا على إمام ، وذلك أنهم يقولون : إن ربهم هو الذي كان محمد نبيه ، وخليفته أبو بكر ونحن لا نقول بهذا الربّ ولا بذلك النبي بل نقول : إن الربّ الذي خليفته أبو بكر ليس ربنا ، ولا ذلك النبي نبينا » [٣] .

ويقطع الكليني بهذا الافتراق في الدين مع كل مَن لا يؤمن بنظرية

---

(١) الشيخ المفيد [أوائل المقالات] ص ٤٥ .

(٢) المجلسي [بحار الأنوار] ج ٢٣ ص ٣٩٠ .

(٣) نعمة الله الجزائريّ [الأنوار النعمانية] ج ٢ ص ٢٧٩ طبعة مؤسسة الأعلى . بيروت .

الإمامة الشيعية فينسب إلى الإمام الرضا [١٥٣ - ٢٠٣ هـ/ ٧٧٠ - ٨١٨ م] وهو الثامن في سلسلة أئمة الإثني عشرية - قوله :

« إن شيعتنا لمكتوبون بأسمائهم وأسماء آبائهم أخذ الله علينا وعليهم الميثاق يردون موردنا ويدخلون مدخلنا ، ليس على ملة الإسلام غيرنا وغيرهم إلى يوم القيامة .. » [١] .

بل ويخرجون من الدين - مع أهل السُّنَّة والجماعة - حتى الشيعة غير الإثني عشرية ! ..

فيقول السيد محمد الشيرازيّ [١٣٣٨ هـ ١٩٢٠ م] :

« إنَّ من جَحَدَ إمامًا من الأئمة الاثني عشر ـ بمن في ذلك سائر أقسام الشيعة غير الإثني عشرية ـ هم كمن قال : إن الله ثالث ثلاثة » ! [٢] .

ويبلغ هذا التكفير والإقصاء من الدين حدّ العنصرية عند الشيخ المفيد [٤١٣ هـ ١٠٢٢ م] ، الذي يقول : **« إنه ليس أحد طاهر المولد ، وليس أحد على ملة الإسلام إلا الشيعة » !** [٣] .

ويظلّ هذا التراث التكفيريّ لكل من عدا الشيعة الإثني عشرية - والذي بينته المدرسة الأصولية الاجتهادية في القرن التاسع عشر الميلاد

---

(١) الكافي ج ١ ص ٢٢٣ .

(٢) السيد محمد السرازي [الفقه] ج ٤ ص ٢٦٩ .

(٣) الشيخ المفيد [الأمالي] ص ١٦٩ .

– يظلّ قائمًا وسائدًا لدى المراجع الكبار في الفضاء الشيعيّ المعاصر .. فيقول الإمام أبو القاسم الخوئيّ [١٣١٧ – ١٤١٢ هـ/ ١٨٩٩ – ١٩٩٢ م] :

« إنه ثبت بالروايات والأدعية والزيارات جواز لعن المخالفين ، ووجوب البراءة منهم ، وإكثار السبّ عليهم ، واتهامهم ، والوقيعة فيهم ، لأنهم أهل البدع والريب ، بل لا شبهة في كفرهم ؛ لأن إنكار الولاية والأئمة ، حتى الواحد منهم ، والاعتقاد بخلافة غيرهم يوجب الكفر والزندقة ، وتدلّ عليه الأخبار المتواترة الظاهرة في كُفرِ منكر الولاية » ! [(١)] .

• • • •

هكذا رأينا منهاج الإمام عليّ في النظر إلى المخالفين – حتى الذين بغوا عليه وقاتلوه – .. وهو المنهاج الذي انطلق فيه من القرآن الكريم ، الذي لم يخرج البغاة من حظيرة الإيمان بالإسلام ، وذلك لأن بغيهم وقتالهم إنما كان في الفروع والسياسات – ولم يكن في الدين وعقائده وأركانه .

ورأينا كيف رَفَضَ الإمام على موقف الخوارج ، الذين كفروا المخالفين ..

ثم رأينا الانقلاب الشيعيّ على منهاج الإمام عليّ .. حتى لقد تفوقوا في هذا « الانقلاب التكفيريّ » على الخوارج القدماء !! .

---

(١) الخوئي [مصباح الفقاهة] ج ٢ ص ١١ .

وإزاء هذه « الحقيقة المرة » نجد أنفسنا – سُنَّة وشيعة – أمام ضرورة إعادة النظر في هذا « التراث التكفيريّ » ، الذي امتلأت وتمتلئ به مصادر الفكر الشيعيّ .. والذي يصوغ العقائد والعقول والوجدانات عند خريجي الحوزات العلمية – ومنهم المراجع الكبار – وتبعًا لهم عامة المقلدين . وهو التراث القائم في حقل الشيعة والتشيع منذ نشوء نظرية الإمامة الإلهية وتأليه الأئمة وحتى هذه اللحظات .

وإذا لم نمتلك الشجاعة الأدبية والفكرية التي تجعلنا نَضَع هذه القضية – قضية تكفير الآخر ، الذي يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله – على مائدة الحوار – حوار العلماء العقلاء – فسيظلّ الحديث عن التقريب بين الشيعة والسُّنَّة ضربًا من الوهم والزيف والتعمية على حقائق الأمور ..

وستظلّ « ألغام التكفير » هذه جاهزة في هذا المخزون الفكريّ حتى يأتي الأعداء – أعداء الإسلام والمسلمين – بتفجيرها عند اللزوم !

إن « ألغام التكفير » هذه – تكفير الشيعة للصحابة ولأهل السُّنَّة والجماعة – أي لـ ٩٠ ٪ من الأمة – على مرّ أجيالها – قد أسسته الشيعة على روايات تاريخية اخترعت – كما يقول الدكتور أحمد الكاتب – في القرن الرابع الهجريّ .. ذلك القرن الذي كان – بتعبيره – **« قرنًا إخباريًا حشويًا موبوءًا بالخرافات والأساطير والغلوّ بسبب انقطاع صلة الشيعة مع أئمة أهل البيت ، الذين كانوا في حياتهم يرشدون حركة التشيع ، ولما توفي الإمام الحسن العسكريّ سنة**

٢٦٠ هـ دون وَلَدٍ ظاهر يستلزم زمام القيادة والتوجيه ، وخيم ما يُسمَّى بعصر الحيرة والغيبة ، وَقَعَ الشيعة وخاصة الإمامية ، ضحية الرواة الكذبة الدجالين .. » .

وفي إطار ذلك نسجت الأساطير والروايات والأكاذيب عن اضطهاد الصحابة لآل البيت .. نظرية الإمامة الإلهية . وظلت هذه الروايات والأكاذيب سائدة ورائجة كمصادر للتربية والتكوين النفسيّ عند مراجع الشيعة وجماهيرهم .

• فضريح كمشهد إيراني اسمه أبو لؤلؤة تحوّل إلى مزار مقدس - بحسبانه هو قاتل عمر بن الخطاب ! .

• وعيد الزهراء يصنع فيه جمهور الشيعة وعامتهم دمية لعمر بن الخطاب .. ويرجمونها بالأحجار ! .

• وحتى هذه اللحظات يصرّ العلماء والفقهاء والمراجع الكبار على تأسيس المذهب على هذه الأساطير .

فيصرّح مدير مركز الأبحاث العقائدية في مكتب السيد عليّ السيستانيّ - وهو أكبر مراجع شيعة العصر - يصرّح الشيخ فارس الحسون - كما يورد الدكتور أحمد الكاتب - فيقول :

« .. والحقيقة أن قضية الزهراء سلام الله عليها - [أي ضرب عمر ابن الخطاب لها ، وإسقاطه جنينها] - أساس مذهبنا ، وجميع القضايا التي لحقت تلك القضية وتأخرت عنها كلّها مترتبة على تلك القضية ، ومذهب الطائفة الإمامية الإثني عشرية بلا قضية الزهراء - سلام الله

عليها – وبلا تلك الآثار المترتبة على تلك القضية – هذا المذهب – يذهب ولا يبقى ، ولا يكون فَرَقٌ بينه وبين المذهب المقابل » !! .

على مثل هذه الأكاذيب التي نُسبتْ زورًا وبهتانًا إلى الصحابة. رضوان الله عليهم. تأسس المذهب .. وفي القلب منه عقيدة الإمامة الإلهية .. ثم تحولت هذه الأكاذيب إلى مناهج في التربية والتكوين الثقافي والشحن الوجداني والتعبئة النفسية .. فغدونا أمام « مهمة صعبة » .. تدعو الله ، سبحانه وتعالى ، أن لا تدخل في عداء المستحيلات ! .

⁂ ⁂ ⁂ ⁂

ملاحظات

بقيت لنا ملاحظات على ما أورده الدكتور أحمد الكاتب في حديثه عن الموقف الشيعيّ – وكذلك الموقف السُّنِّيّ – من صحابة رسول الله ﷺ ..

(١)

لقد قال : « **إن النقد والسبّ واللعن والتكفير والاتهام بالردة والنفاق - [للصحابة – من قِبَل الشيعة] - كان إفرازًا من إفرازات الفتنة الكبرى التي عصفت بالمسلمين** » .

ونحن نختلف مع الدكتور أحمد في التعليل .. فلقد سبق وأوردنا نصوصه هو التي تؤكد على أن الموقف الشيعيّ من الصحابة إنما جاء إفرازًا لتبلور نظرية الإمامة الإلهية وتأليه الأئمة . وليس بسبب أحداث الفتنة الكبرى .

ويشهد على ذلك الموقف الشيعيّ من الشيخين – أبي بكر وعمر – والذي اختصهما بأفحش الاتهامات وأقذع الأوصاف .. وهما قد عاشا وماتا قبل نشوب أحداث الفتنة بين الصحابة – عليهم جميعًا رضوان الله ..

(٢)

والملاحظة الثانية ، حول قول الدكتور أحمد الكاتب : إن علماء أهل السُّنَّة والجماعة قد أضفوا القداسة والعصمة على عموم الصَّحابة – فغلوا في هذا الموقف – في مقابل الغلوّ الشيعيّ المضاد .. وفي هذا المقام ،

قال الدكتور أحمد الكاتب :

« إن النظرية السُّنِّيَّة حول الصحابة ، جعلت منهم مادة دينية رغم أنهم بشر ، في حين أنهم لم يكونوا يُشَكِّلون جزءًا من العقيدة الإسلامية .. لقد رفعتهم - [النظرية السُّنِّيَّة] - إلى درجة (العصمة) وحتمية غفران الله لذنوبهم » .

• ونحن نقول - في حوارنا العلميّ مع العالم الفاضل الدكتور أحمد الكاتب : إن أهل السُّنَّة والجماعة لم يجعلوا الصحابة جزءًا من العقيدة الإسلامية .. ولم يرفعوهم إلى درجة العصمة .. لأن العصمة - في الفكر السُّنِّيّ - هي فقط لرسول الله ﷺ فيما يبلغ عن الله - سبحانه وتعالى - ..

ولم يقل أهل السُّنَّة « بحتمية » غفران الله لذنوب الصحابة .. فأهل السُّنَّة والجماعة لا يقولون بأية حتمية على الذات الإلهية ، صاحبة الطلاقة والقدرة والمشيئة ، التي لا تعرف الحدود .

وما قاله أهل السُّنَّة والجماعة عن الصحابة : أنهم بشر مجتهدون ، منهم المصيب ، ومنهم المخطئ .. ومنهم البغاة ، الذين بغوا على الخليفة الشرعيّ - عثمان .. وعلي - في أحداث الفتنة الكبرى - لكن حتى هؤلاء البغاة مؤمنون - كما أخبر بذلك القرآن الكريم - لأن خلافهم وقتالهم وبغيهم إنما حدث في الفروع والسياسات - وليس في عقائد الدين وأركانه - ومن ثَمَّ فإن هذا الاختلاف والبغي والاقتتال لا يُخرِجُ أيًا مِنْ فرقائه مِنْ حظيرة الإيمان بالإسلام ..

أما الذين صحبوا رسول الله ﷺ من المنافقين فإن صحبتهم هذه هي

صحبة بالمعنى اللغويّ .. وليست بالمعنى الاصطلاحيّ .. لقد « صحبوا » الرسول ، لكنهم لم يكونوا « معه » ، أي لم يكونوا من الذين تحدث عنهم القرآن فقال : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ [الفتح : ٢٩] .. أي لا يستوي أهل الصحبة المادية ، الذين كانوا « على الرسول » ، بأهل الصحبة الشاملة ، الذين كانوا « معه » ﷺ .

• وعندما ألَّف علماء أهل السُّنَّة والجماعة في تراجم الصحابة ، لم يوردوا أسماء المنافقين الذين صحبوا الرسول - بالمعنى اللغويّ للصحبة ..

لقد انطلق أهل السُّنَّة والجماعة - في الموقف من الصحابة - ومن غفران الله لذنوبهم - من القرآن الكريم .. الذي قال : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ [الفتح : ٢٩] .

﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح : ١٨] .

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [المجادلة : ٢٢] .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝ جَزَآؤُهُمْ

عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴾ [البينة : ٧ ، ٨] .

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة : ٣] .

﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ۞ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب : ٢٢ ، ٢٣] .

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۞ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴾ [الأنفال : ٧٤ ، ٧٥] .

﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ١٠٠] .

من هذه الآيات القرآنية المحكمة – وعشرات مثلها – انطلق علماء السُّنَّة والجماعة في موقفهم من صحابة رسول الله ﷺ .

فحكموا بما حكم به القرآن – لهؤلاء الصحابة – من الرضى والرضوان والتبشير بالجنة والنعيم المؤبّد فيها .. والفوز العظيم في الدنيا والآخرة .

وقالوا - [علماء أهل السُّنَّة والجماعة] - مع ذلك - بأن الصحابة : بشر .. مجتهدون .. يصيبون ويخطئون .. وزن عدالتهم فيما بلّغوا عن رسول الله هي عدالة المجتهد .. وليست عدالة المعصوم .. وإن كانوا في مجموعهم - كأمة - لا يجتمعون على ضلالة - كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ « لا تجتمع أمتي على ضلالة » ومن معاني الأمة « الجيل .. والقرن » من الناس .

وقال علماء أهل السُّنَّة والجماعة - كذلك - : إن اختلافات الصحابة السياسية هي اختلافات المجتهدين في الفروع والفقهيات التي لا تُخرِج فرقاءها من إطار الإيمان بدين الإسلام ..

وما ينفيه أهل السُّنَّة والجماعة عن الصحابة - ليس الخطأ في الاجتهاد - وإنما الحكم الشيعيّ على جمهورهم بالكفر والردة والضلال والنفاق والمروق من دين الإسلام .. وهو الذي ذَكَرَه الدكتور أحمد الكاتب - عرضًا - عندما قال :

« باحتمال افتقاد بعض الصحابة لدرجة الإيمان العليا ، والاتصاف بالنفاق والكفر » ! .

ذلك أن علماء أهل السُّنَّة والجماعة عندما يرفضون مثل هذه الأحكام والأقوال في حق الصحابة ، إنما ينطلقون من الصورة القرآنية - التي أشرنا إلى بعض معالمها - لهؤلاء الصحابة .. ومن منهاج الإمام عليّ بن أبي طالب نفسه في تقويم خصومه في الصراع السياسيّ على الخلافة .. وهو المنهاج الذي سبقت إشارتنا إلى عباراته النفسية والحكمية والدقيقة

المعبرة عنه ..

والتي نضيف إليها ما ذكره الدكتور أحمد الكاتب من قول الإمام عليّ في أهل وقعة « الجمل » . الذين وقعت الحرب بينه وبينهم ، عندما سئل عنهم :

- أمشركون هم ؟

- فقال : من الشِّرْك فرُّوا .

- فسئل : أمنافقون هم ؟

- فقال : إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا .

- فسئل : فما هم ؟

- فقال : إخواننا بغوا علينا » .

وعندما سمع - كرم الله وجهه - بعض أصحابه - في « صفين » - يسبّ أهل الشام - معاوية وصحبه - قال :

- « إني أكره أن تكونوا سبابين » .

هذا هو الموقف الذي انطلق منه علماء أهل السُّنَّة والجماعة ، والتزموا به في حديثهم عن صحابة رسول الله ﷺ ورضي عنهم أجمعين .

فأهل السُّنَّة لم يجعلوا الموقف من الصحابة عقيدة دينية .. ولذلك لم يحكموا بالكفر على الخائضين في أحوالهم .. وإنما قالوا - بلسان حجة الإسلام أبي حامد الغزاليّ :

« إن الخطأ المتعلّق بأحوال الصحابة بدعة » .. وليس كفرا .

(٣)

وأهل السُّنَّة والجماعة لم يسووا بين كلّ الذين رأوا رسول الله ﷺ وصحبوه - بالمعنى اللغويّ للصحبة - وإنما اشترطوا للصحبة - بالمعنى الاصطلاحيّ - شروطًا لخَّصها الواقديّ [١٣٠ - ٢٠٧ هـ/ ٧٤٧ - ٨٢٣ م] - في النصّ الذي أورده الدكتور أحمد الكاتب - عندما قال :

« رأيتُ أهلَ العلم يقولون : كلُّ من رأى رسول الله ﷺ وقد أدرك الحلم ، وأسلم وعقل أمر الدين ، ورضيه ، فهو عندنا ممن صَحِبَ النبيَّ ولو ساعة من نهار . ولكن أصحابه على طبقاتهم وتقدمهم في الإسلام » .

ففي هذا النصّ - المعبر عن رأي أهل العلم من علماء أهل السُّنَّة والجماعة - شروط خمسة لمن يطلق عليه مصطلح « الصحابيّ » :

١ - رؤية الرسول ﷺ أي الصحبة بالمعنى اللغويّ .

٢ - وإدراك الحُلم . أي البلوغ والتكليف .

٣ - والإسلام .

٤ - وعقل الدين ، أي الإيمان بالإسلام عن قناعة وتعقل .

٥ - والرضى بهذا الدين .. أي الاطمئنان والانتماء والولاء لهذا الدين .

ثم هم - بعد هذه الشروط الخمسة - لا يسوون الذين توفرت فيهم جميع هذه الشروط ، وإنما ينبهون - على أن الصحابة - الذين اجتمعت فيهم كل هذه الشروط - ليسوا سواء ، وإنما هم « على طبقاتهم وتقدمهم في الإسلام » ..

• ويشهد لذلك أيضًا ما نقله الدكتور أحمد الكاتب عن حجة الإسلام أبي حامد الغزاليّ [٤٥٠ - ٥٠٥ هـ/ ١٠٥٨ - ١١١١ م] من : « إنه لا يكفي للاسم - [الصحابيّ] - من حيث الوضع - الصّحبة ولو ساعة : ولكن العرف يخصص الاسم بمن كثرت صحبته » .

(٤)

ولم يحدث أن علماء أهل السُّنَّة والجماعة ساووا بين فرقاء الصراع في الفتنة الكبرى .. ومن الشواهد على ذلك ما نقله الدكتور أحمد الكاتب عن الإمام النوويّ [٦٣١ - ٦٧٦ هـ/ ١٢٣٣ - ١٢٧٧ م] - في شرحه لصحيح مسلم - ج ٧ ص ١٦٨ - عندما قال :

« إن عليًا رضي الله عنه كان هو المصيب المحقّ ، والطائفة الأخرى - أصحاب معاوية رضي الله عنهم - كانوا بغاة متأولين .. والجميع مؤمنون ، لا يَخْرُجُونَ بالقتال عن الإيمان ولا يفسقون ، وهذا مذهبنا .. » .

• وكذلك ما نقله الدكتور أحمد الكاتب عن شيخ الإسلام ابن تيمية [٦٦١ - ٧٢٨ هـ/ ١٢٦٣ - ١٣٢٨ م] - في الفتاوى ج ٤ ص ٤٦٧ - من قوله :

« إن كلا الطائفتين المقتتلين - عليّ وأصحابه ومعاوية وأصحابه - على حقّ ، وإن عليًا وأصحابه كانوا أقرب إلى الحقّ من معاوية وأصحابه » .

• وكذلك ما نقله الدكتور أحمد الكاتب عن الإمام ابن كثير

[٧٠٠ - ٧٧٤ هـ/ ١٣٠١ - ١٣٧٣ م] - في [البداية والنهاية] ج ١٠ ص ٥٦٣ - من :

« إسلام الطائفتين : أهل الشام وأهل العراق - لا كما تزعمه فرقة الرافضة أهل الجهل والجور من تكفيرهم أهل الشام - ولقد كان أصحاب عليّ أدنى الطائفتين إلى الحقّ ، وهذا مذهب أهل السُّنَّة والجماعة : أن عليًا هو المصيب ، وإن كان معاوية مجتهدًا في قتاله له ، وقد أخطأ ، وهو مأجور إن شاء الله ، ولكن عليًا هو الإمام المصيب إن شاء الله تعالى ، فله أجران .. » .

• وكذلك ما أورده الدكتور أحمد الكاتب عن إمام الأشعرية أبي الحسن الأشعريّ [٢٦٠ - ٣٢٤ هـ/ ٨٧٤ - ٩٣٦ م] - في كتابه [الإبانة] - من قوله :

« .. فأما ما جرى بين عليّ والزبير وعائشة ، رضي الله عنهم ، فإنما كان على تأويل واجتهاد ، وعليّ الإمام ، وكلهم من أهل الاجتهاد ، وقد شهد لهم النبيّ بالجنة والشهادة ، فدلّ على أنهم كلّهم كانوا على حقّ في اجتهادهم . وكذلك ما جرى بين عليّ ومعاوية ، رضي الله عنهم ، كان على تأويل واجتهاد » .

• وكذلك ما نقله الدكتور أحمد الكاتب عن الإمام ابن حزم الأندلسيّ [٣٨٤ - ٤٥٦ هـ/ ٩٩٤ - ١٠٦٤ م] - في [الفصل] ج ٤ ص ١٥٨ - من قوله في أهل « الجمل » :

« .. فقد صحَّ صحة ضرورية لا إشكال فيها أنهم لم يمضوا إلى

البصرة لحرب عليّ ، ولا خلافًا عليه ، ولا نقضًا لبيعته ، ولو أرادوا ذلك لأحدثوا بيعة غير بيعته . هذا ما لا يشك فيه أحد ولا ينكره أحد ، فصحّ أنهم إنما نهضوا إلى البصرة لسدّ الفتق الحادث في الإسلام من قَتْلِ أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه ظلمًا . وبرهان ذلك أنهم اجتمعوا ولم يقتتلوا ولا تحاربوا ، فلما كان الليل عرف قتلة عثمان أن الإراغة والتدبير عليهم ، فبيتوا عسكر طلحة والزبير وبذلوا السيف فيهم ، فدافع القوم عن أنفسهم في دعوى حتى خالطوا عسكر عليّ ، فدفع أهله عن أنفسهم ، وكلّ طائفة تظنّ ولاشكّ أن الأخرى بدئ بها بالقتال . واختلط الأمر اختلاطًا لم يقدر أحد على أكثر من الدفاع عن نفسه . والفسقة من قتلة عثمان لا يفترون من شنّ الحرب وإضرامه . فكلتا الطائفتين مصيبة في غرضها ومقصدها ، مدافعة عن نفسها . ورجع الزبير ، وتَرَكَ الحرب بحالها ، وأتى سهم غاير وهو قائم لا يدري حقيقة ذلك الاختلاط .. فانصرف ومات من وقته ، رضي الله عنهم .. فهكذا كان الأمر .. » .

هذا هو موقف أهل السُّنَّة والجماعة من صحابة رسول الله ﷺ .

• لا يجعلونهم « عقيدة دينية » ومن ثَمَّ لا يُكَفِّرُونَ الخائضين فيهم .. اللهم إلا إذا كان تكفير جمهور الصحابة يلقى بظلاله على الثقة في نَقْلِ الدين - وحيًا وسُنَّة وشريعة - .. لأن ذلك يعني مناقضة القرآن ، الذي قَطَعَ بالحفظ الإلهيّ لهذا الذكر الحكيم ، ومن ثَمَّ تهيئة الله - سبحانه وتعالى - لهذا الجيل - الذي صَنَعَه الرسول على عينه - كي يحمل هذا

الدين إلى التابعين .. كما أن في التكفير لمن شهد لهم القرآن بالجنة والفوز والرضوان فيه تكذيب لله ورسوله ، يفضي إلى الكفر المحقق والعياذ بالله .

• ولا يقول أهل السُّنَّة والجماعة بعصمة الصحابة .. وإنما يقولون باجتهادهم .. هذا الاجتهاد الذي للمخطئ فيه أجر ، وللمصيب فيه أجران ..

• وهم لم يسووا بين فرقاء الصراع في الفتنة الكبرى ، وإنما حكموا لعليّ بن أبي طالب بأنه كان الإمام الحقّ . والخليفة الشرعيّ . والأقرب إلى الحق في الاجتهاد بموضوع الاختلاف .. فهو صاحب الشرعية .. وله أجران على اجتهاده ، بينما كان خصومه متأولين مخطئين في الاجتهاد ..

* * * *

ونحن لو قارنا بين موقف أهل السُّنَّة والجماعة - هذا - من صحابة رسول الله ﷺ :

توقيرهم .. والثناء عليهم .. والقول بعدالتهم فيما بلّغوا عن رسول الله .. مع نفي العصمة عنهم .. والحكم بخطأ - بل وبغي - من أخطأ وبَغَى منهم ، كثمرة للخطأ في الاجتهاد والتأويل -

لو قارنا هذا الموقف السُّنّي بموقف الشيعة الإمامية من أئمتهم .. وكيف بَلَغ الغلوّ فيهم حدّ التأليه أحيانًا .. والتفضيل على الأنبياء والمرسلين أحيانًا أخرى .. والقول بعصمتهم في كل الأحايين ..

والادعاء بأن لهم ولاية تكوينية على كلّ ذرات هذا الكون .. وبأن الله قد فوّض إليهم أمور الخلق والرزق في هذا العالم .. وبأن إمام الزمان ربّ الزمان .. وبأن حساب الناس عليهم وإيابهم إليهم .. وأنه لولاهم لساخت الأرض بما ومن عليها .. إلخ ..إلخ .

لو قارنا هذين الموقفين - موقف السُنّة والجماعة من الصحابة .. وموقف الشيعة الإمامية من أئمتهم - لعلمنا أين الغلوّ ؟ .. وأين الاعتدال ؟ وأين هي الخرافة ؟ وأين هي النظرة العلمية العقلانية لهذا الجيل الفريد ، الذي أقام الدين .. وأسس الدولة .. وأزال قوى الهيمنة والاستعمار والقهر والاستغلال .. وحرّر الأرض والضمائر .. وغيّر وجه الدنيا واتجاه التاريخ .. وحمل إلى أقطار الأرض أعظم نعم الله علينا : نعمة الإسلام ..

فلولا هؤلاء الصحابة الكرام لكان جمهور الشيعة مجوسًا يعبدون النار حتى الآن .. ولكان جمهور أهل السُنّة يعبدون الصليب - وربما العجل أبيس - حتى هذه اللحظات !

◇ ◇ ◇ ◇

ملحق الرد على كتاب
فصل الخطاب في تاريخ قتل ابن الخطاب

* بعد كتابة الدِّراسة التي حاورت فيها العالم الشيعي المرموق : د. أحمد الكاتب .. حول [الشيعة والسُّنَّة : جوهر الخلاف وسبل التقريب] - والتي ألقيت فيها الأضواء على موقف الشيعة من صحابة رسول الله ﷺ .. أحال « مجمع البحوث الإسلامية » هيئة كبار العلماء - بالأزهر الشريف - والذي أشرف بعضويته .. أحال إلى كتاب [فصل الخطاب في تاريخ قتل ابن الخطاب] لإبداء الرأي فيه .

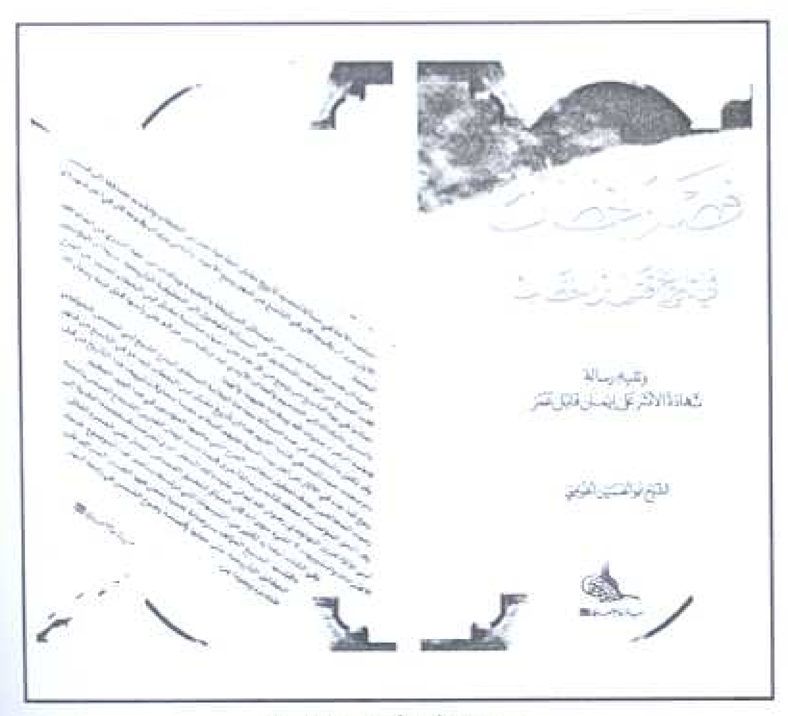
* ولقد اقترحتُ على « مجمع البحوث الإسلامية » أن يتجاوز الموقف من هذا الكتاب مجرد إبداء الرأي فيه .. إلى الرَّدِّ على ما جاء فيه .. مع نَشْرِ هذا التقرير ملحقًا بمجلة [الأزهر] - كموقف للأزهر .. ومجمع البحوث .. من المحتوى الخطير لهذا الكتاب .

* ولقد وافق المجمع على هذا الاقتراح - في اجتماعه يوم الخميس ٢٢ جماد آخر سنة ١٤٢٩ - ٢٦ يونية سنة ٢٠٠٨ م . وتقرر نشر التقرير ملحقًا بمجلة [الأزهر] عدد ذي القعدة سنة ١٤٢٩ هـ - أكتوبر سنة ٢٠٠٨ م .

* وللعلاقة الوثقى بين هذا التقرير وبين دراستنا [أضواء على موقف الشيعي من صحابة رسول الله ﷺ] آثرنا أن نجعله ملحقًا لهذا الكتاب .

د. محمد عمارة

عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف



صورة غلاف الكتاب المشار إليه

تقرير عن فحص كتاب

عنوانه : [فصل الخطاب في تاريخ قتل ابن الخطاب]

ويليه رسالة : [شهادة الأثر على إيمان قاتل عمر]

المؤلف : الشيخ أبو الحسين الخوئيني .

صفحاته : ٢٥٩ صفحة .

الناشر : هيئة خُدّام المهدي - لندن سنة ١٤٢٧ هـ سنة ٢٠٠٦ م .

التوزيع : مركز نور الهدى - بيروت - حارة حريك - بئر العبد - خلف البنك الفرنسي .

مؤلف هذا الكتاب - كما يبدو من أسلوبه - هو واحد من علماء الشيعة الإمامية الإثني عشرية .. الذين درسوا أصول الفقه .. وعلوم الرواية والتاريخ .. وهو إيراني الجنسية .

وموضوع هذا الكتاب - كما يظهر من عنوانه - مخصص «لتحقيق» تاريخ يوم مقتل عمر بن الخطاب [٤٠ ق هـ - ٢٣ هـ/ ٥٨٤ - ٦٤٤ م] - رضي الله عنه - والأهمية التي تجعل تحقيق هذا التاريخ قضية تؤلف فيها الكتب ، أن هذا اليوم - عند الشيعة - هو يوم عيد كبير ، يحتفلون به منذ قرون ، في التاسع من شهر ربيع الأول من كل عام ..

والكتاب يجتهد ليثبت أن هذا التاريخ - التاسع من ربيع الأول - الذي يتم فيه العيد والاحتفال - هو التاريخ الحقيقي لهذا الحدث - مقتل عمر بن الخطاب - وليس التاريخ الذي جاء في مصادر أهل السُّنَّة

والجماعة – الذين يسميهم المؤلف: «العامة العمياء» – وهو أواخر شهر ذي الحجة سنة ٢٣ هـ.

– ١ –

وفي هذا الكتاب تتكرر العبارات التي تصف عمر بن الخطاب بأنه:

«الجبت» الذي عادى النبي ﷺ وآله .. وفرعون .. الذي حرّف القرآن .. وأذاع في الأرض الفساد .. وأظلمت من كفره الدنيا .. والذي طلب – عند مماته – أن يشرب النبيذ [١]» !!.

«أكبر صنم عرفته البشرية منذ بدء نشأتها وحتى يومنا هذا، بل إلى آخر الدنيا، وذلك أنه لم يوجد منذ أول يوم من أيام الدنيا وحتى يومنا هذا ولن يوجد صنم أكبر وأعظم من عمر بن الخطاب .. فهو المنافق الذي أرضى المجوس واليهود والنصارى[٢] كما يقول عن عمر:

«إنَّ الكبش خيرٌ منه» [٣].

• ولا يقف الكتاب – في هذه الأوصاف – عند «تأليف المؤلف» .. وإنما يذهب لينسب مثل هذه الأوصاف إلى الوحي الإلهي .. في الحديث القدسي .. المنسوب إلى رسول الله – ﷺ .. والذي جاء فيه – كما يقول الكتاب – عن عمر بن الخطاب:

---

(١) [فصل الخطاب في تاريخ قتل ابن الخطاب] ص ٧٥.

(٢) المرجع السابق. ص ١٣، ٢٩، ٢٣٣، ١٨٣، ٣٧، ٥٠.

(٣) المرجع السابق. ص ٢/٥.

« إنه أشد أهل النار عذابًا في الآخرة .. يبدّل كلامي ، ويشرك بي ، ويصد الناس عن سبيلي ، وينصّب من نفسه عجلاً لأمتك ، ويكفر بي في عرشي .. » [(١)] .

• كما ينسب الكتاب إلى الصحابي حذيفة بن اليمان ، وَصْف عمر بن الخطاب بأنه :

« المنافق ، الذي ارتدّ عن الدين .. وحرّف القرآن .. وغيّر الملّة .. وبدّل السُّنّة .. وغيّر السنن كلها .. وأظهر الجور .. وحرّم ما أحلّ الله ، وأحلَّ ما حرّم اللهُ .. » [(٢)] .

• كما ينسب الكتاب إلى رسول الله ﷺ : « أن الآية : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف : ١٠٦] - قد نزلت في عمر بن الخطاب .. » [(٣)] .

• ويختم الكتاب صفحاته بشعر يقول فيه عن عمر بن الخطاب : إنه ... « جبتٌ بالله قَدْ كَفَر »

وعن مقتله : إنه عيد

... « فيه صنمُ الكفرِ انْكَسَرَ »

تلك قطرة من بحر الأوصاف التي امتلأ بها هذا الكتاب عن أمير

---

(١) المرجع السابق . ص ٤٨ ، ٤٩ .

(٢) المرجع السابق . ص ٥ .

(٣) المرجع السابق . ص ٢٣٩ .

المؤمنين عمر بن الخطاب .. رضي الله عنه .

- ٢ -

وإذا كانت هذه مجرد نماذج من الأوصاف التي وُصف بها عمر بن الخطاب - من قِبَلِ مؤلف هذا الكتاب - .. فإن صحابة رسول الله ﷺ وحوارييه، الذين صَنَعهم على عَينِه، وربَّاهم في مدرسة النبوّة، والذين أقاموا الدين .. وأسّسوا الدولة .. وأزالوا - بالفتوحات التحريرية - دول الجور - الفرس والروم - .. وحرروا الشرق من القهر الحضاريّ والدينيّ والسياسيّ والثقافيّ والاقتصاديّ والاجتماعيّ .. وفتحوا الأبواب أمام انتشار الإسلام ..

هؤلاء الصحابة - وخاصة الخلفاء الراشدين - كان نصيبهم في هذا الكتاب وصفهم بأنهم :

• الذين قال الله فيهم : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴾ [محمد : ٢٣] .

وأن اتباعهم ومن يواليهم هم ﴿ الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴾ [النساء : ٥١ - ٥٢] [١] .

• كما يتهم الكتاب أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب بأنهما -

---

(١) المرجع السابق . ص ٩ ، ١٠ .

بواسطة أم المؤمنين عائشة ، وأم المؤمنين حفصة - قد سقيا رسول الله ﷺ - سُمًّا ، في حجرة عائشة ، وسمّياه (لُدًّا) ، تمويهًا للأمر ، فمات ﷺ بسببه » !! ..

كما يتهم الكتاب عمر بن الخطاب - في ذات الصفحة - بأنه قَتَلَ أبا بكر - « قتلَ به » بالسُّمّ أيضًا !! [١] .

• ثم يمدُّ الكتاب نطاق الافتراء ، ويعمم بلواه ، عندما يتهم من يسميهم « حزب السقيفة » - سقيفة بني ساعدة - التي يُسَمَّى يومها « اليوم المشئوم » الذي ترجع إليه جميع المصائب والجنايات التي نزلت بالإسلام وبأهل البيت .. » .

يتهم الكتاب مَنْ يُسَمِّيهم « حزب السقيفة » .. ومنهم :

« عمر وأبو بكر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وأبو عبيدة بن الجراح ، بأنهم أظهروا الإسلام طمعًا فيما سمعوه من علماء اليهود في حق النبي ﷺ وغلبته على العرب - كما غلب بختنصر على بني إسرائيل - .. » [٢] .

هكذا قدمت صفحات هذا الكتاب صورة صفوة الصفوة من صحابة رسول الله ﷺ وحوارييه .. على هذا النحو المشين .. والشائه .. والكريه ..

---

(١) المرجع السابق . ص ٢١٢ .

(٢) المرجع السابق . ص ٨٦ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ .

– ٣ –

أما أهل السُّنَّة والجماعة – وهم ٩٠ % من أمة الإسلام – فإن هذا الكتاب يُسَمِّيهم : « العامة العمياء »[١] .

كما يهيل التراب على علماء أهل السُّنة والجماعة – في مختلف ميادين العلم – فيقول : « إن البخاريّ وأضرابه كلهم متهمون بالخيانة والكذب .. وإن قلامة ظفر إبهام الإمام الصادق يعدل من مثل البخاري مائة » !![٢] .

ويقطع الكتاب « بلزوم الحكم بالزندقة وهدر الدم للبخاري وأمثاله من علماء العامة ومؤلفيهم .. »[٣] .

ويدّعي أن بعض أئمة أهل السُّنَّة « قال بضلال البخاري وانحرافه وفساد عقيدته »[٤] ثم يعمم هذه الأحكام على سائر علماء أهل السُّنَّة والجماعة – وليس فقط البخاريّ وأضرابه – فيقول :

« .. والتدليس طريقة شائعة مستمرة بين جميع طبقات محدّثيهم ، وأهل الحديث والتاريخ والسير عندهم .. فيلزم ذلك فِسْق أكثر رواة العامة – [أي أهل السُّنَّة] – ومحدّثيهم ، وبالتالي سقوط رواياتهم

(١) المرجع السابق . ص ٨٦ .

(٢) المرجع السابق . ص ٢٨ ، ٢٩ .

(٣) المرجع السابق . ص ١٣٧ .

(٤) المرجع السابق . ص ١٣٨ .

المروية في كتبهم عن درجة الاعتبار .. فهم يدينون بدين البغال »!![1] .

هكذا تحدَّث الكتاب عن علماء أهل السُّنَّة والجماعة - الذين بنوا علوم الحضارة الإسلامية وتاريخها - فحكم عليهم بالكفر والزندقة والضلال ..

- ٤ -

أما أبو لؤلؤة المجوسيّ - قاتل عمر بن الخطاب - فهو - في هذا الكتاب - : « مسلم .. مؤمن .. من خُلَّص شيعة مولانا أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب - عليه السلام - .. » .

وإن قَتْلَه لعمر بن الخطاب « إنما كان بإشارة عليّ - عليه السلام - .. ولذلك ، فمهمة أبي لؤلؤة - رحمه الله - لا يُلقاها إلا ذو حظ عظيم ؛ إذ على يديه جرى أعظم عمل ، ونفذت أكبر مهمة لم يعرفها العالم قبله ، ولن يعرفها بعده ، وهي كَسْرُ أكبر صَنَم عرفه التاريخ »[2] .

• ثم يمضي الكتاب فيورد عشرين صفحة - من ص ١٨٧ - تُمَجِّدُ أبا لؤلؤة ، وتشهد بإيمانه ، ناسبًا ذلك إلى رسول الله ﷺ ..

كما ينسب - الكتاب - إلى الإمام علي بن أبي طالب ما يشهد على إيمان أبي لؤلؤة ودخوله الجنَّة[3] .

ويصف أبا لؤلؤة بأنه : « من أبرز مصاديق عنوان المؤمن .. وأن زيارة قبره

---

(١) المرجع السابق . ص ١٤٠ - ١٦٠ .

(٢) المرجع السابق . ص

(٣) المرجع السابق . ص ١٩٢ ، ١٩٣ .

- [في كاشان - بإيران] - أولى وأوجب من زيارة سائر المؤمنين .. فهو مُبشَّر بالجنّة .. وقتله لعمر كان عملاً جهاديًا عظيمًا ، بدافع ديني سام ، مقبولاً عند الله تعالى ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة : ٢٧] . ولذلك استوجب عليه الجنة .. »[١] .

• ويعلل الكتاب إقدام أبي لؤلؤة على قتل عمر بن الخطاب ، بأن السبب الأصليّ كان منع عمر من الدخول بأم كلثوم - بنت علي - التي تزوجها عمر « بالإكراه .. فقتله أبو لؤلؤة ، ليمنعه من الوصول إلى بنت أمير المؤمنين - عليّ - لأنها كالقرآن المصون لا يمسه إلا المطهرون .. »[٢] .

• ويقطع الكتاب بأن أبا لؤلؤة قد فرّ - بعد طعْنه لعمر بن الخطاب - من المدينة - وطار إلى كاشان - بفارس - بإعجاز من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - ومات فيها ، وقبره هناك معروف يزار »[٣] .

* * *

ولم يقل لنا الكاتب - الذي يتحدث كثيرًا عن العقل والبراهين العقلية - : إذا كان الإمام عليّ يملك من المعجزات ما يجعله يحمي أبا لؤلؤة من المحاكمة والقصاص .. ويطيّره - قبل اختراع الطيران - من المدينة إلى كاشان - بالمعجزات - فلِمَ لَمْ يقم - بواسطة هذه المعجزات - بمنع

(١) المرجع السابق . ص ٢٣٦ - ٢٣٨ .

(٢) المرجع السابق . ص ٢١٠ ، ٢١١ .

(٣) المرجع السابق . ص ١٨٢ ، ٢١٧ .

عمر من الزواج بأم كلثوم ؟ ! ..

كذلك ، لم يفسر لنا الكاتب دعواه وروايات شيعته كتمان رسول الله ﷺ .. وتنزه عن ذلك – وحي الله – المزعوم – في نفاق عمر وكفره وشِرْكه ورِدَّته وظلمه لفاطمة الزهراء وقتله لها .. ومقتله – على يد أبي لؤلؤة – وهي أمور من أمهات العقائد الشيعية .. لتعلقها بالولاية والإمامة – كما ذَكَرَ المؤلف ..

لم يُفَسِّرْ لنا سبب كتمان الرسول تبليغ أمته هذه الأمور العقدية – التي نسبها الكاتب للرسول ﷺ .. وهو كتمان لا يجوز على أي نبي من الأنبياء ، ولا يليق بخاتم الأنبياء . وإلا .. فهل كان النبي ﷺ يخاف من عمر ؟! .. ويستخدم التقية معه ؟! .. وهو الذي عصمه الله من الناس – مطلق الناس – .. وأزال الشرك .. وحارب اليهود ..

وتحدَّى الروم .. ولم يخشَ في الله لومة لائم ؟ !

• • •

– ٥ –

ولأن هذه نظرة المؤلِّف وعقيدته وعقيدة مذهبه في عمر بن الخطاب .. وفي الصحابة .. وفي أهل السُّنَّة والجماعة .. وفي علمائهم ..

وتلك هي عقيدته في أبي لؤلؤة المجوسي .. فلقد ذَهَبَ الكتاب للتشديد على الأهمية والعظمة والقدسية التي أضفاها الشيعة على الاحتفال بمقتل عمر بن الخطاب – في التاريخ الذي كتب الكتاب

لتحقق يومه - التاسع من شهر ربيع الأول سنة ٢٣ هـ - فهذا اليوم - برأي علماء الشيعة - كما جاء بهذا الكتاب - :« يوم عيد اشتهر بين الشيعة من زمن الإمام أبي الحسن العسكريّ [٢٣٢ - ٢٦٠ هـ/ ٨٤٦ - ٨٧٣ م] .. وبدأ الاحتفال به في قم .. ثم كاشان ، حيث مدفن أبي لؤلؤة .. ثم بقية مواطن الشيعة .. ولقد أصبح عيدًا رسميًا بإيران منذ زمن الحكومة الصفوية [٩٠٧ - ١١٤٩ هـ/ ١٥٠١ - ١٧٣٦ م] ..

وأنه - هذا العيد - سيستمر - كما يقول الكتاب - ويصل إلى غاية ازدهاره بعد ظهور المهدي المنتظر ، طالب ثأر الزهراء .. » (١) .

فهذا العيد - وفق الرواية عن إمامهم أبي الحسن العسكري - :

« هو أفضل الأعياد عند أهل البيت ومواليهم .. فيه يغتسل الشيعة ، ويلبسون الثياب الجدد .. » (٢) .

ه ويذهب الكتاب فينسب تشريع هذا العيد إلى رسول الله ﷺ (٣) .

ه بل وينسب إلى الوحي الإلهيّ أن الله - سبحانه وتعالى - هو الذي جعل يوم مقتل عمر بن الخطاب عيدًا :

« يُرفع فيه القلم عن الخلق كلهم ثلاثة أيام فلا يكتب الكرام الكاتبون على الخلق شيئًا من خطاياهم .. ومن يحتفل بهذا العيد يغفر الله ذنبه ،

---

(١) المرجع السابق . ص ٤٢ .

(٢) المرجع السابق . ص ٤٦ .

(٣) المرجع السابق . ص ٤٧ .

ويشفعه في أهله ، ويوسع عليه في ماله .. إلخ .. إلخ »[١] .

« كما يورد الكتاب كلامًا منسوبًا إلى الإمام علي بن أبي طالب ، يُسَمِّي فيه هذا العيد - عيد مقتل عمر بن الخطاب - يُسَمِّي فيه هذا العيد باثنين وسبعين اسمًا - للدلالة على فضله وأهميته وقدسيته - ومن هذه الأسماء :

« يوم الهُدَى » ..

و « يوم البركة »

و « يوم العيد الأكبر »

و « يوم فرح الشيعة »

و « يوم الفطر الثاني »

و « يوم الغدير الثاني »

و « يوم عيد أهل البيت »

و « يوم قَتْل المنافق »

و « يوم يعضّ الظالم على يديه »

و « يوم الإسلام »

و « يوم الشكر » ... إلخ ... إلخ .[٢]

• • • •

---

(١) المرجع السابق . ص ٤٨ ، ٤٩ .

(٢) المرجع السابق . ص ٥١ - ٥٤ .

— ٦ —

وإذا كان هذا هو مقام أبي لؤلؤة المجوسيّ .. وتلك هي مكانة العيد الذي يحتفل فيه الشيعة بمقتل عمر بن الخطاب .. فإن لقبر أبي لؤلؤة - هو الآخر - مكانة عظمى لدى الشيعة .. يستفيض في الحديث عنها هذا الكتاب فيقول : إن أبا لؤلؤة «هو مؤمن فارس» [١]

«وزيارة قبره - في كاشان - «كزيارة الأئمة المعصومين» [٢] .

«وإن الشيعة - في إيران - منذ قديم الزمان قد بنوا على قبر أبي لؤلؤة - رحمه الله - القبة والأبراج ، وجعلوا له رواقًا وصحنًا ، ومازالوا يحسّنون بناءه ، تعظيمًا لشأنه ، وتسهيلاً على الزائرين الذين يأتون من كل أقطار العالم الشيعيّ ، متقربين إلى الله تعالى بزيارته ، معتقدين بعلوّ مقامه ، وكونه ممن يقضي الله بهم الحاجات .. بل كان أكثر علماء الشيعة يزورونه ، خصوصًا في عيد الزهراء - عليها السلام - حيث يزدحم حرمه الشريف بالعلماء والموالين من كافة المناطق والبلدان» [٣] .

* * * *

وإذا كان الكتاب قد جعل طيران أبي لؤلؤة من المدينة المنورة إلى كاشان ، معجزة من معاجيز الإمام علي بن أبي طالب .. فإنه لم ينس أن

---

(١) المرجع السابق . ص ٧ .

(٢) المرجع السابق . ص ١٨٧ - ١٨٩ .

(٣) المرجع السابق . ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ .

يحدّث القراءَ عن إعجاز قبر أبي لؤلؤة ومزاره .. فنقل - المؤلف - عن (دائرة التراث الثقافي لمدينة كاشان) « أن الزلزال الذي وَقَعَ بالمدينة سنة ١١٩٢ هـ قد دَمَّرَ كلَّ المدينة ، وقُتِل فيه ثلاثة أرباع السكان ، ولم يسلم من الأبنية الأثرية بالمدينة سوى قبة أبي لؤلؤة - رحمه الله - .. » كما جاء بهذا الكتاب - [١] .

• وحتى يثبت الكاتب ويؤكّد على أن ما ذهب إليه كتابه هذا ليس اجتهادًا فرديًا .. وإنما هو موقف « المذهب .. والطائفة » .. أورد كلام « آيات الله العظمى : الوحيد الخراساني .. والتبريزي .. والسيد محمد اليثربي الكاشاني - في تعظيم الشيعة لقبة أبي لؤلؤة ومزاره .. وتكريم بقعته المباركة .. وشخصيته العظيمة ، بناء على :

« الأدلة المحكمة والمتقنة التي تثبت أن السيرة المستمرة للسلف وقدماء الشيعة من قديم الأيام كانت على تعظيم واحترام هذه الشخصية العظيمة .. وأنه أولى بالتعظيم بعد الأئمة المعصومين .. » [٢] .

• • • •

وتلك هي المقولة الوحيدة التي صدق فيها كاتب هذا الكتاب .

فهذا « الفكر الشيطاني » الذي امتلأت به صفحات هذا الكتاب ، والذي طَفَحَ بثقافة الكراهية السوداء ضد صحابة رسول الله ﷺ وخاصة

---

(١) المرجع السابق . ص ٢٠٤ .

(٢) المرجع السابق . ص ٢٠٦ - ٢٠٨ .

الراشد الثاني الفاروق عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ليس مجرد وسوسة شيطانية لمؤلف هذا الكتاب .. وإنما هو موقف مذهب « الباطنية - الغنوصية » في هؤلاء الصحابة : حواريي رسول الله ﷺ الذين صَنَعَهم على عينه ، والذين أقاموا الدين .. وأسسوا الدولة .. وأزالوا طواغيت ذلك الزمان .. وفتحوا في ثمانين عامًا أوسع مما فتَحَ الرومان في ثمانية قرون .. وكانت فتوحاتهم تحريرًا لأوطان الشرق ، ولضمائر الشعوب وعقائدها من القهر الحضاريّ والدينيّ والثقافيّ والسياسيّ والاقتصاديّ والاجتماعيّ الذي دام عشرة قرون . نعم .. إنه فِكْرٌ شيطانيّ ، تلبَّس مذهبًا .. وليس مجرد نزوة لمؤلف هذا الكتاب .

ويشهد على هذه الحقيقة : « الكتاب العمدة » لأحاديث الأصول والعقائد في هذا المذاهب - [الكافي] - للكليني [٣٢٩ هـ ٩٤١ م] - الذي ينسب إلى جعفر الصادق [٨٠ - ١٤٨ هـ/ ٦٩٩ - ٧٦٥ م] سادس أئمتهم : « أن الآية : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾ [آل عمران : ٩١] قد نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان .. وكذلك آية : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴾ [محمد : ٢٥] وأنهم آمنوا بالنبيّ في أول الأمر ، وكفروا حين عرضت عليهم ولاية علي بن أبي طالب .. وأنهم ارتدوا عن الإيمان في ترك ولاية علي .. » (١) .

(١) الكليني [الكافي] ج ١ ص ٤٢ . بتحقيق : علي أكبر الغفاري . طبعة طهران ١٣٨٨ هـ .

« وأن المراد في الآية : ﴿ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴾ [فصلت : ٢٩] هما أبو بكر وعمر .. »[١] .

وفي [شرح الكافي] يقول المجلسي - محمد باقر [١٠٧٧ - ١١١٠ هـ/ ١٦٢٨ - ١٦٩٨ م] : « إن الجن المذكور في الآية هو عمر ابن الخطاب . سُمِّي بذلك لأنه كان شيطانًا ، إما لأنه كان شرك شيطان لأنه وَلَدُ زنى ، أو لأنه في المكر والخديعة كالشيطان » ![٢] .

فهو موقف « مذهب .. وطائفة » منذ تبلورت عقائد هذا المذهب وهذه الطائفة .. ويستمر هذا الموقف ثابتًا من هذه الصفوة من صحابة رسول الله ﷺ منذ تأسيس هذا المذهب وحتى هذه اللحظات .

• فآية الله العظمى الإمام الخميني [١٣٢٠ - ١٤٠٥ هـ/ ١٩٠٢ - ١٩٨٩ م] يقول عن أمّ المؤمنين عائشة .. وعن الزبير بن العوام .. وعن طلحة بن عبيد الله « وعن معاوية بن أبي سفيان - إنهم :

« أخبث من الكلاب والخنازير » ![٣]

وكذلك آية الله العظمى أبو القاسم الخوئي [١٣١٧ - ١٤١٢هـ

---

(١) الكليني [الروضة من الكافي] ج ٨ ص ٣٣٤ .

(٢) المجلسي [مرآة العقول] ج ٢٦ ص ٤٨٨ . طبعة دار الكتب الإسلامية - طهران .

(٣) الخميني [كتاب الطهارة] المجلد الثالث ص ٤٥٧ طبعة طهران - مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني .

١٨٩٩ - ١٩٩٢ م] يقول : « إنه قد ثبت بالروايات والأدعية والزيارات جواز لَعْنِ المخالفين ، ووجوب البراءة منهم ، وإكثار السبِّ عليهم ، والوقيعة فيهم - أي غيبتهم - لأنهم من أهل البدع والريب ، بل لا شبهة في كفرهم ، لأنه إنكار الولاية والأئمة حتى لواحد منهم والاعتقاد بخلافة غيرهم ، يوجب الكفر والزندقة ، وتدل عليه الأخبار المتواترة الظاهرة في كُفْرِ منكر الولاية »(١) .

• • • •

فنحن - إذن - أمام مذهب .. وليس مجرد مؤلف لكتاب ..

مذهب يعتقد ويتدين بالبراءة والسبّ والوقيعة والتفسيق والتكفير ، لا لجمهور الصحابة فقط .. وإنما لكل من ولاهم من المسلمين .. أي لـ ٩٠ ٪ من أمة الإسلام .. الذين يسمونهم « العامة العمياء .. التي تتدين بدين البغال » !!

تلك هي القضية .. وهذه الحقيقة .. حقيقة « الفحش الفكري » الذي تَجسَّدَ في صفحات هذا الكتاب [فصل الخطاب في تاريخ قتل ابن الخطاب] .

- ٧ -

وأخيرًا ...

فمن هو عمر بن الخطاب .. الذي افتروا عليه كلّ هذه الافتراءات ؟؟ ..

---

(١) الخوئي [مصباح الفقاهة] ج ٢ ص ١١ .

• إنه أحد أشراف قريش .. والقائم على مهمة «السفارة» لها في الجاهلية ..

• ولقد كان إسلامه – في السنة السادسة من الدعوة – استجابة إلهية لدعاء رسول الله ﷺ – أن يهدي إلى الإسلام أحبّ الرجلين إلى الله : – عمر بن الخطاب .. أو عمر بن هشام – ليعز الله به هذا الدين : «اللهم أعزّ الإسلام بأحب الرجلين إليك : عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام» .

وبإسلامه كمل عدد المسلمين – من الرجال – أربعين مسلمًا ..

• وهو الذي أعز الله به الإسلام – بعد مرحلة الاستضعاف الشديد – فجهر المسلمون بصلاتهم بعد الاستخفاء .. ولذلك سمّاه الرسول ﷺ «الفاروق» .. فلقد فرّق الله بإسلامه بين مرحلتين من مراحل الدعوة إلى الإسلام ..

• **وهو أول من هاجر** – من مكة إلى المدينة – علانية، متحديًا ملأ قريش، بعد أن كان المسلمون بها يهاجرون متسللين في الخفاء .. فلقد حَمَلَ سيفه وسهامه، ومرّ على ملأ قريش متحديًا .. فطاف بالبيت سبعًا .. وأتى المقام فصلى .. ثم قال لملأ قريش : «شاهت الوجوه .. من أراد أن تثكله أمه، ويُوتم ولده، ويُرمل زوجته، فليلقني وراء هذا الوادي» . فما جرؤ واحدٌ من ملأ قريش على اعتراض سبيله – كما يروي ذلك علي بن أبي طالب – !

وفي ذلك قال عبد الله بن مسعود : «كان إسلام عمر فتحا، وكانت هجرته نصرًا، وكانت إمارته رحمة . ولقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلي في البيت – [الحرام] – حتى أسلم عمر، فلما أسلم عمر قاتلهم حتى تركونا فصلينا» .

• **وهو أحد العشرة** – المهاجرين الأولين – مؤسسة الأمراء – الذين

تحلقت بيوتهم حول مسجد المدينة، ولها أبواب تفضي إليه .. والذين كانوا يقفون - في الصلاة - خلف رسول الله ﷺ وفي الحرب يقفون أمامه ..

• وهو الذي شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ... وفي مقدمتها : بدرًا .. وأُحدًا .. والخندق .. وبيعة الرضوان .. وخيبرًا .. والفتح الأكبر .. وحنينًا .. وغيرها . وكان أشد الناس على الكفار فيها .. كما كان القائد لعدد غير قليل من السرايا وبعوث القتال ..

• وهو أحد القلة القليلة الذين صمدوا مع رسول الله ﷺ يوم أحد .. وكان لسان المسلمين الذي تَحدّى أبا سفيان - قائد الشرك يومئذ - عندما صاح عقب المعركة - وكان يظن مقتل رسول الله ﷺ . - أُعْلُ هُبَل ! .. فقال عمر - صائحًا - : الله أعلى وأجلّ . لا سواء، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار ..

• وهو الذي شاعت في كتب السُّنّة والسيرة والتاريخ يقظته وعداوته وشدته على المنافقين .

• وهو الذي تشهد فتاواه وأقضيته ومبادراته على أنه الفقيه المُلْهَم .

• وهو الذي شَهِدَ له السابقون إلى الإسلام والهجرة بأنه كان أزهدهم في الدنيا ، وأرغبهم في الآخرة .

• وهو المؤسس للطور الجديد للدولة الإسلامية كالدولة العظمى في ذلك العصر والتاريخ .. خَرَجَ بها من شبه الجزيرة العربية ، فامتدت حدودها إلى شمالي إفريقيا .. وإلى فارس .. فضمت العراق .. والخليج

.. وفارس .. وأذربيجان .. وأرانية .. وخوزستان .. وبلاد الجبال .. والجزيرة .. وديار بكر .. وأرمينية .. والشام .. ومصر . وإفريقيا .. وغيرها .. حتى لقد ضمت - في عهده .. وتحت قيادته - معظم الشرق ببحاره وخلجانه وأنهاره وسهوله وأوديته وصحاريه .. وطرق التقاء القارات في العالم القديم ..

• **وهو الفاتح لعواصم ذلك العالم القديم** : المدائن .. والإسكندرية .. والفاتح لأُولى القبلتين وثالث الحرمين - القدس الشريف - ..

• **وهو الذي دوّن للدولة الإسلامية** العظمى الدواوين ، فنقلها من طور البساطة إلى مصاف الدول القائمة على ركائز المؤسسات الشورية الدستورية ..

• **وهو الذي حوّل جزيرة العرب إلى حرم إسلامي آمن لدين الإسلام** ، عندما أُخرج منها غير المسلمين .

• **وهو الذي فَتَحَ الطريق أمام الإسلام** ، فتحول الشرق - بالسلم والموعظة الحسنة - إلى قلب لعالم الإسلام ، بعد أن كان مستعمرة للنصرانية الرومانية والوثنية الفارسية لعدة قرون .

• **وهو الذي نَصَّرَ الأمصار في الدولة الإسلامية** ، عنوانًا على انتقالها من مرحلة السذاجة والبساطة إلى طور المدنية والحضارة ..

• **وهو الذي حافظت جيوش الفتح - في عهده - على كل المواريث الحضارية للحضارات والديانات والثقافات** التي دخلت بلادها في دولة الإسلام .

• **وهو أول من دوّن الدواوين .. وقنن العطاء** .. وجنّد الجنود المنظمة والمحترفة للثغور .. ووضع التقنين لفلسفة الإسلام في الثروات والأموال .. وذلك عندما قال : « والذي نفسي بيده ، ما من أحد إلا له في هذا المال حق .. وما أحد أحق به من أحد .. هو مالهم يأخذونه .. وما أنا فيه إلا كأحدهم .. ولأنا أسعد والرجل وحاجته .. ووالله لوددت أني خرجت من هذا المال كفافًا ، لا علي ولا لي ! .. هو مالهم .. ليس لعمر ولا لآل عمر ! .. » .

• **وهو أول من أنار المساجد في تاريخ الإسلام** ..

• **وهو – مع شرفه في قومه – القائل عن تحرير أبي بكر الصديق لبلال** الحبشي : – « سيدُنا أعتق سيدَنا » ! ..

• **وهو القائل عن علاقته بالرعية** : « والله لقد لنتُ للناس حتى خشيتُ الله في اللين .. ثم اشتددت عليهم حتى خشيتُ الله في الشدة . فأين المخرج ؟! .. » . والقائل : « لئن نمتُ النهار لأضيعن الرعية ، ولئن نمتُ الليل لأضيعن نفسي ، فكيف بالنوم مع هذين ؟! » [1] .

• • • •

---

(١) انظر في ذلك : ابن الأثير [أُسد الغابة في معرفة الصحابة] المجلد الرابع ص ١٤٥ – ١٨١ – تحقيق : محمد إبراهيم البنا ، محمد أحمد عاشور ، محمود عبد الوهاب فايد – طبعة دار الشعب – القاهرة . وابن سعد [الطبقات الكبرى] ج ٣ – القسم الأول – ص ١٩٠ – ٢٧٤ – طبعة دار التحرير – القاهرة – وابن عبد الحكم [فتوح مصر وأخبارها] ص ٨١ – طبعة ليدن سنة ١٩٢٠ م .

هذا هو عمر بن الخطاب .. الذي افترى عليه المفترون .. وظلمه الظالمون .. وبغى عليه البغاة .. ضمن من بغوا عليهم من صحابة رسول الله ﷺ .. أولئك الذين أعلوا منارة الإسلام .. وأورثونا أعظم النعم التي أنعم الله بها على المسلمين ، على امتداد تاريخ الإسلام ، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وتلك بعض معالم « الفُحش الفكري » و « ثقافة الكراهية السوداء » التي حملتها صفحات كتاب [فصل الخطاب في تاريخ قتل ابن الخطاب] .. إلى القراء .. والتي مَثَّلَتْ – وتُمَثِّلُ – معاول هدم لوحدة الأمة ، ولكل محاولات التقريب بين الشيعة والسُّنَّة .. ولكل المؤتمرات التي تعقد تحت هذه الشعارات ، بعيدًا عن المصارحات والمكاشفات ! ..

• • • •

ولذلك : فإن التوصية لا تقف عند حدود منع هذا الكتاب من دخول مصر – التي دخلها – مع شديد الأسف – وبيع في معرض الكتاب بها – يناير فبراير سنة ٢٠٠٨ م – .. وإنما تتضمن التوصية – فوق ذلك – نشر هذا التقرير – ملحقًا لمجلة [الأزهر] .. وفي صحيفة [صوت الأزهر] ليكون هذا النشر :

• بيانًا للناس ، يفضح هذا الفحش الفكري المسيء إلى رموز الإسلام وأمته ودولته وحضارته ..

• وإظهارًا لحقيقة مواقف هذه الطائفة التي احترفت الافتراء على صحابة رسول الله ﷺ ورضي عنهم أجمعين .. والافتراء على أهل السُّنَّة

والجماعة – الذين يُمثّلون ٩٠ % من أمة الإسلام .. وإهالة التراب على علماء الأمة .. ومن ثمّ على الحضارة الإسلامية – التي صَنَعَهَا هؤلاء العلماء .. والتي تعلّمت منها الدنيا – ولا تزال تتعلّم حتى هذه الأيام – ..

• وأيضا .. ليكون هذا النشر – لهذا التقرير – دعوة لعقلاء هذه الطائفة وحكمائها وهم كثيرون – إلى إعلان الموقف اللائق بدعاة الوحدة الإسلامية .. والتقريب بين المذاهب الإسلامية ، إزاء هذا التخريب المتعمّد والمعلن لهذه المقاصد العظمى ، التي نحن أحوج ما نكون إلى تحقيقها هذه الأيام ..

والله من وراء القصد .. منه – سبحانه وتعالى – نستمدُّ العون والتوفيق .

٣ جماد أول ١٤٢٩ هـ

٨ مايو ٢٠٠٨ م

دكتور

محمد عمارة

عضو مجمع البحوث الإسلامية

بالأزهر الشريف

المصادر والمراجع

١. ابن أبي الحديد شرح نهج البلاغة تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم - طبعة القاهرة سنة ١٩٥٩ م .

٢. ابن تيمية : بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول طبعة القاهرة سنة ١٣٢١ هـ

٣. ابن حزم : الفصل الأول في الملل والأهواء والنحل

٤. ابن كثير : المقدمة طبعة القاهرة سنة ١٣٢٢ هـ .

٥. أبو حنيفة المغربي البداية والنهاية

٦. النعمان بن محمد : دعائم الإسلام تحقيق : آصف بن على أصغر

٧. د. أحمد الكاتب : السنة والشيعة : وحدة الدين . خلاف السياسة .

٨. الأفغاني - جمال الدين : الأعمال الكاملة دراسة وتحقيق : د. محمد عمارة طبعة القاهرة سنة ١٩٦٨ م .

٩. الإيجي - والجرجاني : شرح المواقف طبعة القاهرة سنة ١٣١١ هـ

١٠. الباقلاني : التمهيد تحقيق : محمد الخضري ، د. محمد عبد الهادي أبو ريدة . طبعة القاهرة سنة ١٩٤٧ م .

۞ ۞ ۞ ۞

المحتويات



أضواء على

الموقف الشيعي من أصحاب الرسول ﷺ

هذا الكتاب

لقد صحّ عن رسول الله ﷺ قوله : « مَنْ رَمَى مُؤمنًا بِكُفْرٍ فهو كَقَتْلِه » . وإذا كان تكفير واحد من عامة المؤمنين هو قَتْلٌ له .. فما بالنا بمن يحكم بالكفر والرِّدَّة والنفاق والضلال على صحابة رسول الله ﷺ . مكذبًا القرآن الذي بشّرهم بالجنة .. وحكم بأن الله قد رضي عنهم ورضوا عنه ؟! .. بل ويكفّر كلَّ من يوالي صحابة رسول الله - أي ٩٠ ٪ من أمة الإسلام ؟ ! إنها جريمة ، ترتكبها قلة ، يرتزق قادتها من هذا « الفُحْش الفكريّ » ، الذي يقصم ظهر وحدة الأمة ، ويفتح في حُصونها الثغرات التي ينفذ منها الأعداء !

وللخروج من مستنقع التكفير هذا .. ولصيانة وحدة الأمة يصدر هذا الكتاب .

د. محمد عمارة

